

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الرقم التسلسلي:............

رقم التسجيل:...............

تاريخ الغرب الإسلامي
في مرايا الاستشراق الفرنسي..
غوستاف لوبون أنموذجا

مذكرة ماستر ل.م.د.

في تخصص تاريخ الغرب الإسلامي

إعداد الطالبة:

صباح محامدية

إشراف الدكتور:

عبد العزيز شاكي

السنة الجامعية: 1442-1443هـ/2021-2022م



﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾

أشكر الله عز وجل الذي بتوفيق منه تمكنت من إنجاز هذه المذكرة

أتقدم بالعرفان والشكر الجزيل إلى الأستاذ الفاضل "شاكي عبد العزيز" على كل التوجيهات والملاحظات والانتقادات التي وجهها لي، وعلى صبره طيلة إشرافه على هذه المذكرة رغم تعدد التزاماته.

كما أشكر كثيرا جميع الأساتذة الذين أخذت العلم منهم، والذين قدموا لي المساعدة مهما كانت طبيعتها، وإلى كل من قدم لي تشجيعا مهما بلغت درجته، والشكر إلى الزملاء الذين قدموا لي المساعدة خاصة مهدي سبعي، وابتسام زقعار، جمال قومي، كربوعة سالم.

كما أتوجه بخالص الشكر إلى كافة أساتذتنا الكرام بقسمالتاريخ تخصص الغرب الإسلامي بجامعة مُحَّد بوضياف بالمسيلة على ما قدموه طيلة فترة تكويني وبصفة خاصة لخضر بولطيف، بنابي، خير عامر، حصباية

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى كل طالب علم يسعى لكسب المعرفة وتزويد رصيده المعرفي العلمي والثقافي.

إلى من ساندتني في صلاتها ودعائها... إلى من سهرت الليالي تنير دربي

إلى من شاركتني أفراحي وأسائي... إلى نبع العطف والحنان

إلى أجمل ابتسامة في حياتي... إلى أروع امراة في الوجود "أمي العزيزة"

إلى من علمني أن الدنيا كفاح... وسلاحها العلم والمعرفة

إلى الذين لم يبخلو عليّ بأي سيء... إلى من سعى لأجل راحتي ونجاحي

إلى أعظم وأعز رجل في الكون أبي العزيز

إلى الذين ظفرت بهم هدية من الأقدار إخوة فعرفوا معنى الأخوة إخوتي الأعزاء: مُحَمَّد، سمير، بوبكر، هاني، نصر الدين، فاطمة الزهراء، زينب، كلتوم

إلى أخواتي العزيزات:

أقدم إلى هداء خاصة إلى أفراد العائلة فاتح حمداني، علي بن خيرة، سعاد، صباح

إلى براعم العائلة: عبد الوهاب، سبيل الإيمان، ندى الريحان، آية الرحمان، دعاء، أشواق، غفران شذى الريحان، دانيا، سجود، تسنيم، أحمد

إلى كافة زملاء الدراسة: رويبح رقية، غربي صفية

إلى صديقاتي العزيزات: ماريا مهني، سلاف، هناء، ليندة خطاب، وصال جلفاوي، سارة، صبرينة، ياسمين قاسم، إكرام مهني، منال لعياضي

إل دفعة تخصص تاريخ الغرب الإسلامي لسنة 2022م

قائمة المختصرات:

الرمز	معناه
ج	جزء
ص	صفحة
م	ميلادي
هـ	هجري
تر	ترجمة
تق	تقديم
تع	تعريب
تح	تحقيق
ع	عدد
مج	مجلد
ط	طبعة
د.ط	دون طبعة
د.س	دون سنة
د. ن	دون نوع

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون، والقائل في محكم تنزيله: ﴿**وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا، وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ **[البقرة: 217]**. والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم معلم الناس الخير، المبعوث رحمة للعالمين، أما بعد...

فلقد كان لانتشار الإسلام في مختلف أصقاع العالم، وصدق كتابه، وعظمة منهجه، ما لفت أنظار المشتغلين بالعلوم النظرية في العالمين العربي والغربي، فراح كل منهم يكتب ويؤلف عنه إما مثنيا أو منحيا، وهناك كم هائل من الكتب المؤلفة عن الحضارة الإسلامية والفتوحات الإسلامية العربية، وينقسم مؤلفو هذه الكتب إلى من هو قادح أو مادح.

وقد كان الطبيب والمؤرخ والفيلسوف الفرنسي غوستاف لوبون (Gustafe le ban)، وهو من أشهر الشخصيات المثيرة للجدل، وذلك حسب أطروحاته، وتعدد نشاطاته الفكرية التي شملت مختلف المجالات، ومدى أثرها على الأفكار في المجتمع؛ وقد أُعتمدت إنتاجاته المعرفية كمرجع علمي مهم، وذلك باعتبار لوبون مفكرا عالميا متعدد التخصصات، ومؤلفا للعديد من الكتب والدراسات في مختلف الإطارات الفكرية والنفسية، بالإضافة إلى أن تقديمه للحضارة العربية الإسلامية أبان عن منهج موضوعي في الغالب. وقد امتد تأثيره الفكري ليشمل العديد من المؤرخين العرب، من أمثال شوقي أبو خليل، والعديد من القادة السياسيين، باعتبار لوبون من أهم المستشرقين الذين ألقوا الضوء على الحضارة العربية الإسلامية، ودورها في التطور الحضاري، وحفظ التراث الثقافي الإنساني.

وهذا الفضل يعود إلى المستشرقين من أصحاب المنهج العلمي المنصف، الذين اعترفوا ونقلوا الثقافة العربية الإسلامية، وألّفوا كتبا تشيد بفضل المسلمين وأهم إنجازاتهم التي

لا يمكن إنكارها، على أن ثمة صنف آخر من المستشرقين كان دأبهم تسجيل الأغاليط والافتراءات على تاريخ الإسلام وحضارته.

وبين هؤلاء وأولئك نجد كتاب "حضارة العرب" للمؤلف غوستاف لوبون، فإنه أجاد في وصف الحضارة الإسلامية، والإشادة بها، وهو كتاب فريد من نوعه، إلا أنه لم يخل من هفوات ومغالط لا يمكن تجاوزها أو التغاضي عنها؛ فنجد أن لوبون لم يتعب نفسه، ليدقق في مسائل العقيدة الإسلامية، وكما لم يسلط الضوء كثيرا على تاريخ للغرب الإسلامي، ووقع في مواطن عدم اتزان، وخاصة في حق أهل البلاد بالبربريين، أي أنه –بالفعل– لم يلق أهمية لتاريخ البرابرة قبل وبعد الفتوحات الإسلامية، وتاريخ الدويلات كالدولة المرابطية والحفصية والزيانية، وغيرها من دويلات المغرب الإسلامي، ولم يشد بثقافة وإنجازات سكان إفريقيا الشمالية والأندلس وغيرها، بما يشمل الغرب الإسلامي أي أن المسلمين كانوا قد اعتمدوا أثناء الفتوحات الإسلامية على استراتيجيات تضمن لهم استمرارية ما حققوه من امتدادات وتؤمن لهم حدودهم، وقد أقاموا العديد من المؤسسات والمنشآت العمرانية كمثال "دولة المرابطين" التي كانت من أعظم الدويلات في تجهيز العتاد والخيول، بالإضافة إلى دورها العسكري، ومع زيادة حرص المسلمين على الجهاد، وتوسعهم غربا نحو افريقية، أخذوا معهم هذه الإستراتيجية إلى المغرب الإسلامي، وتجسد ذلك خلال ما أنجزه عقبة بن نافع وطارق بن زياد، أما غوستاف لوبون فقد أهمل هذا الجانب الحضاري لسكان الغرب الإسلامي وخصوصا (البربر).

وتتجلى أهمية هذا الموضوع في المقاربة التاريخية لكتاب "حضارة العرب" للمستشرق غوستاف لوبون، وذلك بدراسته دراسة تحليلية ونقدية، وذكر أهم الافتراءات والمغاليط التي وقع فيها بشأن الحضارة الإسلامية عامة، والغرب الإسلامي خاصة، واستبيان نظرة غوستاف لوبون لسكان الغرب الإسلامي، خاصة إفريقية الشمالية، باعتبار هناك روابط استعمارية بينها وبين أوروبا.

ومن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع يمكن التمييز بين نوعين من الأسباب:

1- أسباب ذاتية:

- الرغبة الشخصية في الاطلاع على منجز الاستشراق الفرنسي بشان تاريخ الغرب الإسلامي وحضارته في العصر الوسيط.

-الرغبة في تقويم نظرة غوستاف لوبون إلى الحضارة العربية الإسلامية؛ وخاصة من خلال كتابه "حضارة العرب".

- محاولة الإلمام بجوانب من الدور الريادي الذي اضطلعت به الحضارة الإسلامية مشرقا ومغربا.

2- أسباب موضوعية:

- إماطة اللثام عن التجنيات التي وقع فيها الاستشراق عامة، وغوستاف لوبون خاصة في كتابه "حضارة العرب".

- قلة ونقص الدراسات التي تناولت نقد المستشرق غوستاف لوبون فيما كتبه بشكل خاص عن الغرب الإسلامي.

- الموازنة فيما ما مال فيه غوستاف لوبون إلى تحري الدقة والإنصاف، وما انساق فيه وراء التجني والإجحاف.

أما بالنسبة للأهداف المرجوة من موضوعنا، فهي تتلخص في تبيان وتحليل رؤية المستشرق لوبون للحضارة الإسلامية، ومدى تأثيرها العظيم في العالم، والمسلمين الذين ذهبوا بتأثيرهم الخلقي على البرابرة الذين قضوا على دولة الرومان، والمسلمين الذين فتحوا أوروبا، وإبراز نقاط قوة كتاب غوستاف لوبون "حضارة العرب"، وأهم الهفوات التي وقع فيها، وهل وصل إلى الإنصاف في كتابه كما ذكر العديد من المؤرخين العرب، الذين أشادوا به، وأحصر كل ما فات في إشكالية ملمة وهي:

-كيف بدت صورة الغرب الإسلامي في سياق كتابات المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون؟

ونستلهم من هذه الإشكالية العامة أسئلة فرعية، تتمثل فيما يلي:

- من هو غوستاف لوبون، وما هي أهم إنجازاته؟.
- فيما تمثلت مسالك التوفيق في كتابه حضارة العرب؟.
- فيما تجسدت أهم الافتراءات والإخفاقات التي وقع فيها لوبون في كتابه؟.

أما عن المنهج المستخدم في هذه الدراسة، فقد اقتضت طبيعة الموضوع المتناول استخدام منهجا تاريخيا نقديا.

وبعد البحث والتقصي واستمداد للمادة العلمية من مختلف المصادر والمراجع المتاحة، وبعد الإلمام الجيد بالموضوع، اهتدينا إلى الخطة الملائمة للإجابة عن الإشكالية الرئيسية وأسئلتها الفرعية، بحيث جاء الهيكل العام للموضوع موزعا على ثلاثة فصول:

الفصل الأول بعنوان: **غوستاف لوبون.. خلفيته الفكرية وكتابته عن حضارة العرب،** ويندرج تحته مبحثان؛ الأول بعنوان: سيرته الذاتية وخلفيته الفكرية، تناولنا فيه مولده، ونشأته، وتخصصه وتجاربه، كما أهم كتبه وأبرز أطروحاته. فيما كان الثاني بعنوان: كتاب حضارة العرب وصفا وعرضا، تناولنا فيه مترجم الكتاب عادل زعيتر، كما الكتاب موضوع الدراسة وصفا وعرضا.

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان: **مدارج الإنصاف ومناحي التوفيق في كتاب حضارة العرب،** وتحته مبحثان: الأول، غوستاف لوبون منصفا ومتحريا، ومداره على أمداح غوستاف لوبون لحضارة العرب، وملاحظاته الإيجابية على العقيدة والشريعة. في حين تتبعنا في الثاني إقرارات غوستاف لوبون بفضل الحضارة الإسلامية، سواء في حديثه عن أهم معابر الحضارة الإسلامية، أو تطرقه إلى الآثار والنتائج التي رسختها الحضارة الإسلامية على كل من الشرق والعرب في شتى المجالات.

أما الفصل الثالث والأخير، فكان بعنوان: **مهاوي التجني ودركات الإخفاق في كتاب حضارة العرب،** وفيه أيضا مبحثان: الأول، سجلنا فيه الموقف المتجني للحركة الاستشراقية

من دين الإسلام وسيرة نبيه، وكان لغوستاف لوبون ضلع في ذلك؛ خاصة ما يتصل بالسيرة النبوية، فيما أوردنا في الثاني نماذج من تجنيات غوستاف لوبون في تناول تاريخ الغرب الإسلامي؛ تجنياته في تناول تاريخ إفريقيا الشمالية (المغرب الإسلامي)، وتجنيات في تناول تاريخ إسبانيا (الأندلس)، وتجنيات في تناول تاريخ فرنسا وصقلية.

هذا، وقد ساعدتنا مجموعة من المصادر والمراجع حتى وان كانت محدودة العدد في إثراء مادة الموضوع، بحيث زودتنا بمعطيات تاريخية متنوعة، وجعلتنا أكثر فهما واستيعابا له. ومن بين أهم المصادر التي كانت مفتاحا أوليا للبحث، نذكر:

ومن جملة الصعوبات التي واجهتني في تناولي لهذا الموضوع أذكر منها الأكثر تأثيرا، وفي طليعتها عدم إتقان اللغة الفرنسية، مما حال دون التعامل المباشر مع الكتاب في لغته الأصلية، مع قناعتي أن ذلك أفضل وأفيد، تجنبا لقصور الترجمة، مهما تكن جودتها، عن النقل الأمين والدقيق لمعاني المؤلف، بالإضافة إلى قلة الدراسات المتخصصة التي عنت بنقد غوستاف لوبون فيما يتصل بتناوله لتاريخ الغرب الإسلامي، بحيث أن معظم الدراسات الحديثة خصت بالاهتمام تناول لوبون للحضارة الإسلامية بصفة عامة، وهو المجال الذي اتخذه كثير من الباحثين العرب ميدانا للرد على المستشرقين.

الفصل الأول: غوستاف لوبون خلفيته الفكرية وكتابته عن حضارة العرب.

المبحث الأول: السيرة الذاتية والخلفية الفكرية لغوستاف لـوبون.

المطلب الأول: مولده ونشأئـــــــه.

المطلب الثاني: تخصصه وتجاربـــــه.

المطلب الثالث: أهم كتبه وأبرز أطروحـــــه.

المبحث الثاني: كتاب حضارة العــرب(وصف وعرض).

المطلب الأول: مترجم كتاب حضارة العـرب(عادل زعيتر).

المطلب الثاني: وصف وعرض الكتـــاب.

من منا لم يحفظ أو يسمع على الأقل منذ طفولته يقول العلامة الفرنسي الشهير غوتساف لوبون: {ما اعرف التاريخ فاتحا ارحم من العرب} فقد اشتهر بالعديد من الكتب القيمة.وقد سمع عنه الكثير من معلمينا ومعلمي التاريخ خصوصا.

الفصل الأول: غوستاف لوبون خلفيته الفكرية وكتابته عن حضارة العرب.

المبحث الأول: السيرة الذاتية والخلفية الفكرية لغوستاف لوبون.

المطلب الأول: سيرته الذاتية.

I . **مولده:** اسم الولادة: CHARLES MARIE GUSTAVE LEBONE

سنة الميلاد: 7 مايو 1841م.

مكان الميلاد: نوجيو لوروتو بفرنسا.

المواطنة: فرنسا[1].

II . **نشأته:** هو العلامة الدكتور غوستاف لوبون من فلاسفة علم الإجتماع الفرنسيين[2]، ومن المستشرقين المنصفين إلى حد بعيد.

– من أهم المناصب التي شغرها لوبون" منصب مدير" وقد بقي في هذا المنصب في الفترة من 1902-1931.

– أما يالنسبة لحياته العلمية (دراسته):

المدرسة الأم: كلية الطب في باريس "جامعة باريس".

الشهادة الجامعية: دكتور في علم الطب.

المهنة: طبيب ومؤخر وفيلسوف.

اللغات: الفرنسية[3].

---

[1] غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: أحمد فتحي، مطبعة الشعب، القاهرة، 1909، ص13.

[2] غوستاف لوبون، السنن النفسية لتطور الأمم، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ط01، 2014م، ص08.

[3] غوستاف لوبون، حياة الحقائق، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2014م،

-درس الطب وقام بجولة في أوروبا وآسيا الشرقية وشمال إفريقيا، وقد إهتم بالطب النفسي وأنتج فيه مجموعة من الأبحاث لمؤثرة على سلوك الجماعة، والثقافة الشعبية ووسائل التأثير في الجموع، مما جعل أبحاثه مرجعا أساسيا في علم النفس، ولدى الباحثين في وسائل الإعلام في النصف الأول من القرن العشرين[1].

-وقد أسهم في الجدل القائم حول المادة والطاقة وألف كتابه" تطور المواد" الذي حظي بشعبية كبيرة في فرنسا، وحقق نجاحا كبيرا من كتابه "سيكولوجية الجماهير" مامنحه سمعة جيدة في الاوساط العلمية، اكتملت مع كتابه الاكثر مبيعا "الجماهير: دراسة في الجمعي" وجعل صالونه من اشهر الصالونات الثقافية التي تقام اسبوعيا، لتحضره شخصيات المجتمع المرموقة مثل "بول فالري" و"هنري بوانكاريه"[2].

-وقد عرف بانه اشهر فلاسفة الغرب الذي انصفوا الامة العربية والحضارة الاسلامية، فلم يسر على نهج مؤرخي اوروبا الذي صار من تقاليدهم انكار فضل الاسلام على العالم العربي لكن لوبون الذي ارتحل في العالم الاسلامي وله فيه مباحث اجتماعية، اقر ان المسلمين هم من مدنوا اوروبا فرأى ان بيعث عصر العرب الذهبي من مرقده، وان يبديه للعالم في صورته الحقيقية، فقد كان غوستاف لوبون متعصبا للعنصرية معروفا بنزاعاته المضادة للديمقراطية وانتقد سياسة القهر والهضم الذي مارستها الدول الاوروبية المستعمرة، وقد كتب كتابات شافية في انتقاد قومه الفرنسين بما يعاملون به مسلمي الجزائر من الظلم والارهاق، ونزع الاراضي والتشريد في الصحراء وغير ذلك.

توفي في ولاية مارنيه لاكوكيه بفرنسا 1931م[3].

[1] WWW.CULTURE, gour fr/bublic/ mistral/le onore _fr? Action= chercher field_1= cote value باسم:.Chars lmarie gistave le ben ، الناشر: وزارة الثقافة الفرنسية تاريخ الاطلاع 9 جانفي 2022.

[2] غوستاف لوبون على موقع (Encyclopaedia Britannica onlineالانجليزية).

[3] الموسوعة العربية المسيرة، محمد شفيق غربال، ط01، القاهرة 1965، مؤسسة دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ص 19.

المطلب الثاني: تخصصه وتجاربه.

I. تخصصه:

كان لوبون مفكرا عالميا متعدد الاختصاصات، ومؤلفا للعديد من الكتب التي يتناول فيها الاضطراب السلوكي وعلم النفس الاجتماعي، وله انتاج علمي في الاثار والانثروبولوجيا.

–وقد عاصر الاستكشافات العلمية العظيمة، وهو المروج الرئيسي لتلك الاستكشافات على المدى الطويل، وتنوعت الموضوعات التي غطاها: ادارة الخدمات الطبية، الانثروغرافي، المصور، الانثروبولوجيا، علم الاجرام، علم النفس، التعليم، الفيزيائي والفيلسوف[1].

–نشر في عام 1851م كتاب "الانسان والمجتمع" بمجموع ضخم في مجلدين من 1000صفحة تقريبا[2]، ويعتبر نفسه وريث التنوير ويؤمن بالحضارة، وكرس عدة مجلدات لتاريخ الحضارة العظيمة وفي مقدمتها الحضارة العربية، حينئذ سافر إلى شمال افريقيا (تونس . الجزائر . المغرب)، من 1882 إلى 1884 ثم رحل إلى الشرق الاوسط (لبنان . مصر . فلسطين . سوريا . تركية . العراق)، وكذلك اصفهان وسمرقند[3].

وسمحت له اسفاره في الشرق الاوسط بالمغامرة والاتصال بشعوبها بمنأى عن الحضارة الغربية لاكتشاف ثراء ثقافتهم، وكان مهتما بالحضارات العظيمة التي لازات مهيمنة مثل الحضارة العربية[4].

---

[1] https://:www.abggad.com/outhor/2132901888

[2] http://citation_celebreleparissen.Fr/auteur/gustare_lebon.

[3] http://www.notreislan_com/Fr/rubriques/86_vie-duprapbete/339_unbeau_t%c3%A9moignage de gustae_le_bon_%c3%A0_L_islam_etcontre_L_EURAPE. 30\01\2022.

[4] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 30.

-وعلى مستوى التجارب لايزال اسمه مؤلف علم النفس الجماهيري مرتبطا بتأسيس علم النفس الاجتماعي في مطلع القرن الـ19، وهو يعد احد مؤسسي علم النفس الاجتماعي من كتبه الاولى لاسيما" الحياة" الانسان والمجتمعات اصولها وتاريخها[1].

-بحث لوبون عن اسباب تصرفات البشر من خلال علم وظائف الاعضاء البشرية المطبقة على النظافة والطب والمجتمعات، اصولها وتاريخها، وضمن ذلك في كتابه " الحياة " ويحددها في الاسباب البيولوجية، العاطفية، المنطقية، الجماعية، الصوفية ويتطرق إلى كيف تولدت الاسر والمجتمعات والصناعات والفنون والنظم والمعتقدات؟.

-كان لوبون مهتما كثيرا بالحضارات العظيمة التي لازالت مهيمنة مثل الحضارة، ولذلك درس الظواهر الاجتماعية والتاريخة كما لو كانت ظواهر مادية، مما مكنه من تفسير انحطاط بعض الحضارات وصعود اخرى، فهم نهوض الاشتراكية وانتقد الراسمالية غير الاخلاقي كما اعرب قلمه الحاد بكفاءة هائلة من صراع الحضارات الذي اثاره المشروع الاستعماري، وسوف اعرض بعض توجهاته وفقا للترتيب الزمني:

1. الطب: تخصص في البدء في الطب (مجال البحث الطبي) حتى عام1880تقريبا كان له مساهمات طبية عدة منها: دوره البارز طورت السين في الحالات الاسعافية إبان حرب 1871.1870 اهتم في البدء بالامراض التي تصيب المجتمع كما في حالة الملاريا في برين Brenne، وكتب عدة مؤلفات طبية[2]، منها كتيب صغير حول "علم التسريح وعلم الانسجة" عام 1875م، حيث تم تدريسه حينئذ في كلية الطب لعدة استخدامات علمية ومنها تطوير مقياس للراس بحجم الجيب لاستخدامه من قبل عالم الانثروبولوجيا الذي يرغب في قياس جماجم الافراد أو المجموعات التي تمت مواجهتها في هذا المجال، ومساهمتها في استخدام التصوير الفوتوغرافي (كان رائجا وقته)، في قياس الاثار عن بعد.

[1] محمد كرد على، الاسلام والحضارة العربية، ج2، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1354هـ _1932م، ص27.

[2] Alfred stein * Adolfhitler sund gustaive lebon Der Meistre der Massenbeuvegung and sein lerer geschicgte in urssenschaft and unterricht, 6, 1955, pages 300, 368.

وأيضا كتابه "lovie" تناول فيه علم وظائف الاعضاء البشرية المنطقية على النظافة والطب والاسنان والمجتمعات، اصولها وتاريخها، وبحث عن اسباب تصرفات البشر[1].

2. مؤرخ للحضارات الكبرى: كان ايضا محبا للسفر في بداية حياته المهنية، قام بعدة رحلات في اوروبا وافريقيا واسيا والى جانب كونه سائحا، فقد جسد شخصية المستكشف الذي يضع السفر في خدمة العلم، كان عضوا في جمعية الجغرافيا وجمعية الانثروبولوجيا، كل ذلك مكنه من انتاج اعمال ابداعية عن الحضارات العالمية الكبرى ومنها:

-رحلة الانثروبولوجيا في جبال تاترا عام 1881م استمرت بالانطباعات الشخصية على الرغم من بريق عنوانه العلمي.

-الهند: تم تكلفته رسميا في رحلته إلى الهند من قبل وزارة التعليم في عام 1884م، واعد حول ذلك اربعة مجلدات امتلات بالصور الكثيرة والمبتكرة بشكل خاص.

-مناطق اخرى: قام برحلات لمناطق اخرى كلها بكتابه عن رحلة ومنها كتابه العظيم" حضارة العرب"[2]

3. مشاركته العلمية وفي الحياة الفكرية الفرنسية:يعرف عن غوستاف لوبون بانه عمل لاول مرة مراسلا لعدة مجالات، شارك في المجلة العلمية Lore vue scientifique، وتعاون مع مجلة L'enrênement وله مقالات محددة في مجلتي الجغرافيا والانثروبولوجيا[3].

-انشأ لوبون في عام 1902م مجموعة بعنوان "مكتبة الفلسفة العلمية" تناولت في الاساس موضوعات في مجالات الفيزياء، والعلوم الخياة والفلسفة والتاريخ، استمرت ختى وفاته في عام 1931م نشرت 221عنوان بمتوسط عدد نسخ بلغ 8400نسخة بالاضافة عمله الخاص.

---

[1] Le bon gnestae un mythe de xxe siecle par olure bosc Mil feuf cent revue, intectuelle, 2010/01 (n8), pages 101-120.

[2] محمد كرد علي، مصدر سابق، ص 40.

[3] Marpeau Benait, les strtegiu de gustuve le Bon, Jn Milneufcent n9, 1991, les pensees reactionnaires.

-وفي حياته الفكرية الفرنسية عقد لقاءات علمية من خلال اجتماعات منظمة في عشاء شهري بدء من عام 1892م والذي حولها إلى غذاء كل اربعاء بدأ من عام 1902م، وكان يحضره مزيج من الشخصيات المختلفة (السياسون، الفنانون، الاكاديميون، وكبار المسؤوليين والضباط)، وبعض الاجتماعات يحضرها اسماء ارستقراطية فرنسية أو اجنية، واحيانا تحضر بعض الزوجات واستمرت هذه الاجتماعات حتى وفاته[1].

4. علم الاجتماع:

تحول نحو دراسة الانسان والمجتمعات ومن جهة نظر انثروبولوجيا اساسية، وصولا إلى وضع تصنيف علمي للاجناس البشرية من خلال تحليل الاختلالات في حجم وشكل الجمجمة، وفي اهم اعماله: "سيكولوجية الجماهير" فيصف عمل الافراد ضمن تشكلهم في مجموعة ما اثناء مناصرتهم لحدث كبير أو دعمهم للاحداث التاريخية الكبيرة ويحدد المبادئ في هذا الكتاب التي ستشكل اساس الانظباط العلمي الجديد: علم النفس الاجتماعي.

-ان مفاتيح تحليل المجتمعات والحضارات التي قدمها لوبون باسلوب بسيط اكسبته نجاحا، بالرغم من وجود المفكرين كبار معاصرين له، مثل مؤسس علم الاجتماعات الحديث دوركهايم Durkheim (1858ـ1917)[2].

- غوستاف لوبون (1841ـ1931) مر واحد من اكثر الكتاب الذين اهملوا ظلما في علم الاجتماع الحديث، ونعتقد ان بسبب ذلك هو منهجيته المنصفة في تقديمه لافكاره خصوصا عن الحضرة العربية، فضلا عن رايه عن اليهود مما جعل البعض يقومون يتقييم سلبي واضح نحوه من خلال ملاحظة المحتوى العنصري، وهو ما اشار اليه بعض الباحثيين مثل ihiec yuon.

[1] Olurer Bosc un pionnier de lalterscience, gustave bon (1841193) conmunication a le seance du 16 decembre 2008.

[2] غوستاف لوبون، روح الاجتماع، ترجمة احمد فتحي، مطبعة الشعب، مصر 1909م، ص ص 268_270.

- انتقد غوستاف لوبون جميع اشكال الهندسة الاجتماعية والثورة ورفض رفضا قاطعا فكرة ان الطبيعة البشرية يمكن تعديلها من خلال العمل على البيئة الاجتماعية، احتقر السياسة الجماهيرية والديمقراطية والاشتراكية العلمية والتنظيم المتفشي، ونتيجة لذلك لايمكن التوفيق بين افكاره بسهولة وبين التقاليد، اما المحافظة، أو الاشتراكية أو الليبيرالية التقديمية، باختصار كان لوبون لا ينتمي إلى اي مدرسة فكرية.

-علاوة على ذلك فان كتاباته في علم النفس الجماعي لا تمثل سوى جزء من علمه الاجمالي، الذي يتناول الطب، والتصوير الفوتوغرافي والاتنولوجيا، والفيزياء،الخ...[1].

II. من أبرز تجاربه العملية والعلمية:

لا يزال اسم غوستاف لوبون مؤلف علم نفس الجماهير مرتبطا بتاسيس علم النفس الاجتماعي في مطلع القرن التاسع عشر، وهو يعد احد مؤسسي علم النفس الاجتماعي، من كتبه الاولى لاسيما "الحياة la vie" الذي يتحدث عن علم وظائف الاعضاء البشرية المطبقة على النظافة والطب، الانسان والمجتمعات، اصولها وتاريخها.

بحث غوستاف لوبون عن اسباب تصرفات البشر من خلال علم الوظائف الاعضاء البشرية المطبقة على النظافة والطب والمجتمعات اصولها وتاريخها، وضمن ذلك في كتابه " الحياة" عام (1874م)، ويحددها في الاسباب البيولوجية، العاطفية، المنطقية، الجماعية، الصوفية، ويتطرق إلى كيف تولدت الاسر والمجتمعات والصناعات والفنون والنظم والمعتقدات.

استخدم عمله في علم نفس الجماهير في النصف الاول من القرن العشرين على يد باحثيين في علم الاجتماع، مثل هادلي كانتربل Hadley central، وهاربرت بلومر Herbert blumer، وكان له حضور ولو جزئي في علوم اخرى مثل الفيزياء[2].

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 273.

[2] غوستاف لوبون، السنن النفسية لتطور الامم، ترجمة عادل زعيتر،ط1، دار المعارف، مصر، 1950، ص ص50-51.

المطلب الثالث: أهم كتبه وأبرز أطروحاته.

I. أهم كتبه:

اتسم هذا العالم بالموسوعية، حيث كتب في مجالات علمية عدة(طبي، فيزيائي، انثروبولوجي، اثار، علم اجتماع)، وقد زادت كتبه عن الخمسين كتابا، فضلا عن البحوث والمقالات ومن ابرز كتبه:

-كتاب حضارة العرب 1884:

ألف عام 1884م، كتاب حضارة العرب "la civilisation des arabes" وفيه بين عناصرة الحضارة العربية وتاثيرها في العالم، باحثا في اسباب عظمتها وانحطاطها، وقدمها للعالم بشكل موضوعي ومنصف.

-يتحدث لوبون في الكتاب عن جزيرة العرب، ثم يتناول جذور نشأتهم واعراقهم وأحوالهم قبل ظهور النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومصادر قوتهم وتأثير القرآن عليهم، ثم ينتقل للحديث عن دولتهم في سورية وبغداد وبلاد فارس والهند ومصر، وافريقيا الشمالية واسبانيا وصقلية وايطاليا وفرنسا، ويعرض بعد ذلك الحروب الصليبية، يتحدث ايضا عن جوانب ثقافية اخرى مثل: طبائع العرب ونظمهم، وعرب المدن وعاداتهم، والمراة في الشرق، والدين والاخلاق، كما ذكر علوم الغرب كاللغة والفلسفة والاداب والتاريخ والرياضيات وعلم الفلك والعلوم الجغرافية والفيزياء والعلوم الطبيعية والطبية والرسم والحفر والفنون الصناعية وفن العمارة، ايضا يتحدث عن تجارة العرب وصلاتهم بمختلف الشعوب، وتأثيرهم في الشرق والغرب وتأثير الاوروبيين فيهم[1].

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص ص 617_618.

-كتاب سيكولوجية الجماهير "(Psychologie des foules)1895:

حقق نجاحا كبيرا مع كتابه، مامنحه سمعة جيدة في الاوساط العلمية، وصنف هذا الكتاب في الكتب العشرين التي غيرت العالم[1].

-كتاب تطور المواد (le évolution de la matière) 1925م:

ألف هذا الكتاب ليسهم في الجدل الدائر حول المادة والطاقة، الذي حضي بشخصية كبيرة في فرنسا[2].

-كتاب روح الثورات والثورة الفرنسية:

La révolution française et la psychologie des révolution 1912.

تضمن الحديث عن روح الثوراتى عامة ودور الحكومات في الثورات وتقسيماتها الدينية والسياسة والعلمية، ويختم كتابه بالحديث عن الثورة الفرنسية وآراء المؤرخين عنها.

-روح السياسة La psychotise politique et la défense spéciale 1910:

يتحدث عن الروح السياسية للجماعات كونها قائدة معاركها في كونها الميادين الانسانية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية، ومدى استبداد الانظمة القمعية، ورفض التيارات الاشتراكية والاوروبية، آذاك لاحتكار الحركات الراسمالية الحكم، يتطرق بعد ذلك إلى النتائج المترتبة عل تطبيق المناهج التربية الاوروبية على الشعوب بشرعية الوهم الذي تسميه الحرية، موضحا عددا من جرائم القتل السياسي، وصور التعصب والاضطهاد الديني.

-اليهود في تاريخ الحضارات: (rôle des juifs dans la civilisation).

تحت عن قيام الدولة ونشأت القوميات واثرها على الجماعات اليهودية في اوروبا الذين عاشوا منعزليين في "الجيتو اليهودي"وساد حينها حالة من الكره الشديد لليهود، واودد راي بعض المفكريين مثل "ماكس فيبر" و"هيغل" الذي اعتبرهم الاول هم اصل الشرور،

---

[1] في عام 2010، كان كتاب سيكولوجية الجماهير جزءا من سلسلة الكتب العشرين التي غيرت العالم ونشرتها بالاشتراك دار نشر فلا ماريو Editions flammarion وجريدة لوموند le journal le monde.

[2] فايز بن علي الشهري' غوستاف لوبون، ط01، المركز الثقافي، للنشر والتوزيع، المغرب، سنة 2019، ص 40-44.

والثاني بان شعائرهم بدائية وليست عقلانية، وقد سار غوستاف على نهج مفكري اوروبا في موقفهم من اليهود اثناء تلك الحقبة، وصاغ كتابه من هذا المنطق ووصفهم بابشع الصفات، نافيا اي دور لهم في نشاة الحضارات القديمة.

-حياة الحقائق (la vie des vérités 1914).

"حياة الحقائق" دراسة اسس المعتقدات التي تتالف من عناصر دينية عاطفية وما يشوب افرادها من تحولات حينها تصبح جمعية، وتحدث عن الاديان القديمة أو المركبة كالمسيحية، وانتشارها، وعن الاخلاق باعتبارها العنصر الرئيس في تكوين المعتقدات الدينية وفي الحياة العقلية باعتبارها شكل جذور العلم من خلال التفكير الفلسفي.

-الاراء والعقائد (les opinion et goyances 1911).

يتناول علاقة المرء بالمعتقدات والراي الذي يؤمن به من خلال اثارته اسئلة تتكشف مع محاولات الاجابة عليها، كما يتطرق إلى انواع الغرائز وما يحركها ناحية معتقداتنا وارائنا، واسباب التصادم والتنازع[1].

-حضارة الهند 1883(les civilisations de l'Inde).

يقدم عرضا تاريخيا شاملا بالتحليل والنقد لتطورات النظم الدينية والاجتماعية في الهند وعوامل هذه التطورات، والحوادث التاريخية الطبيعية، ويعرض صورا لبعض الاثار لذلك البلاد التي شكلت منبتا للكثير من المعتقدات والديانات.

بالاضافة إلى الكتب الاخرى لم تترجم إلى العربية -حسب علمي-لا يتسع المجال لذكرها منها:

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص ص 258 260.

-روح الاشتراكية (psychologie du socialisme 1898).

في كتابه علم النفس الاشتراكية، تشكل دوافع العمل تاثير هائل مدمر، وهو يصنف الاشتراكية بين المعتقدات الدينية والملاحظات التي يمتلكها لديه طابع عدم دقة العقائد التي لاتسود بعد: ولكن عندما يسعى المرئ يكشف اسباب نجاحه.

- فلسفة التاريخ 1931 (Bases scientifique d'une philosophie de l'histoire).

اساس علمي لفلسفة التاريخ، يوجد ضمن كتاب مصور يحتوي على:

1) تعكس مشاعر العصر.

2) ادوات المؤلق لقياس اختلاف الشخصيات البيولوجية المقابلة لتغيرات الشخصيات العقلية.

3) تركبيات معمارية تبين تاثير الاجناس الاجنبية، وهو من اعمال لوبون التي لم يعد اصداره، ولقد جمع بواسطة مكتبة الفلسفة العلمية[1].

-روح التربية (Psychologie de l'éducation 1902).

طبع هذا الكتاب بعدة لغات مرات عديدة، ومع ذلك بقي تاثيره على الاكادميين ضعيفا جدا.

- الحضارات الاولى (1889).

يستعرض عدة حضارات قديمة، مثل الفينيقية، الاشورية، المصرية، وكيف بنى الانسان القديم حضاراته الخ...[2].

II. أهم أطروحاته:

-جمعية الانثروبولوجيا في باريس ومصطلح "العرق": قام في عام(1879)، بادخال مشاركة رائعة جمعية الانثروبولوجيا في باريس، والتي منحته في العالم الثاني جائزة غودار لاطروحته"الابحاث التشريحية والرياضية على قوانين الاختلاف في حجم الدماغ وعلاقتها

---

[1] فايز بن علي الشهري، مرجع سابق، ص 264.

[2] فايز بن علي الشهري، مرجع سابق، ص ص 44 47.

بالذكاء"، لكنه استقال منها عام 1888م، مبررا ذلك بان هذا المجتمع لم يكن نموذجا مفتوحا لمناهجها النفسية–الاجتماعية المبتكرة.

يرى بانه لاتوجد اعراق نقية في البلدان المتحضرة، ويفهم مصطلح "العرق" أنه "مجموع الرجال الذين ينتمون إلى الخليفة مفسها وتقاسم الثقافة نفسها (اللغة والتقاليد والدين والتاريخ واللباس والغذاء، وما إلى ذلك)".

– دراسة في الانسان وهو منفرد وفي تطور المجتمعات: مكنته من تاليف كنابه "حضارة العرب" عام (1884م)، موضحا فيه عناصر الحضارة العربية وتاثيرها في العالم، وبحثا في أسباب عظمتها وانحطاطها وقدمها للعالم بشكل موضوعي ومنسق.

–سيكولوجية الجماهير: مثل نقطة تحول في حياته العلمية، ولايزال هذا العمل في مجموعة وحقيقة دعمهم ضمن أحداث ناريخية كبيرة وسوف تشكل المبادئ التي يحددها في هذا الكتاب أساس الانظباط العلمي الجديد لعلم النفس الإجتماعي[1].

–الصالون الثقافي: نظم لوبون بدا من عام (1892م)، اجتماعات منظمة لشخصيات مهمة في مختلف المجالات وتسمى "وليمة XX" اي العشرين وتجري في آخر يوم جمعة من كل شهر، لكن من عام (1903م)، تحول الاجتماع إلى اسبوعي "عداء الاربعاء".

أصبح صالونه الثقافي من أشهر الصالونات الثقافية التي تقام كل أربعاء أسبوعيا، وتحضره شخصيات المجتمع المرموقه.

– أسهم في الجدل الدائر حول المادة والطاقة: وألف كتابه "تطور المواد" عام (1905م)، وحضي بشعبية كبيرة في فرنسا، وملخص المقترحات حول هذه المسالة قدمت في بداية كتابه، وهب تعطي مضمون آراه.

– لا يدعم لوبون نظرية التسلسل الهرمي للحضارات: لكنه لا يعترف بالاختلافات في مراحل التطور، ويدعم نظرية عالم الاحياء الداروينية الالمانية إرنست هيجل (1834م–1919م)،

[1] فايز بن علي الشهري، مرجع سابق، ص ص 49 50.

لقد كرس حجما كبيرا موضحا ل"حضارة العرب" وكان تصور ايقاظا مستقبليا مازالت متخلفة في بداية القرن العشرين بعد بعثته إلى الهند، نشر عام (1887م)، عملا رئيسا آخر هو" حضارات الهند "وهو يختلف في هذا بقوة عن آرثر جوبينو، ويكرر التنديد في أعماله " باسطورة السباق الاري" محذرا من أهداف الاستعمار القومية منذ عام (1924م).[1]

وبيد ان بعض المفكرين الاوروبيين استفادوا من دراسات لوبون، ووطفوها ايجابيا كما يظهر في دراسات حول الثورة الفرنسية.

تبادل لوبون العديد من الرسائل مع عدد من الأكاديميين، بعضها منشور وكل ذلك ينفي بعض المزاعم الاي تقوم بعدم حصوله على شهادة الطب، ان التنوع واهمية موقف المراسلين الاكادميين مع لوبون لايمكن وصفه منذ البداية على أنه خارج بيئته الجامعة.

[1] فايز بن علي الشهري، مرجع سابق، ص 55.

المبحث الثاني: كتابه حضارة العرب (وصف وعرض).

المطلب الاول: مترجم كتاب حضارة العرب (عادل زعيتر):

عادل بن عمر بن حسن زعيتر (1895–1957م)، هو مترجم ومفكر عربي.

تاريخ ميلاده: 1895م.

تاريخ وفاته: سنة 1957م (61–62سنة).

مواطن: فلسطيني.

الحياة العملية (المهنة): مترجم وكاتب.

ولد عادل زعيتر في نابلس في بيت علم ودين وسياسة وقانون، كان ابوه حسن زعيتر قاضيا، وشغل منصب رئيس بلدية نابلس، وشقسقه اكرم وعيتر كان مؤرخا وسياسي واديب، وكان سفيرا للاردن في العديد من العواصم العربية الاسلامية ووزيرا للبلاد الهاشمي، ورئيسا للجنة الملكية للشؤون القرن، وله عدة كتب في القضية الفلسطينية، اي بالمختصر ان عادل زعيتر كان من عائلة سياسية محظى[1].

درس عادل زعيتر الحقوق وهو من اكابر المترجميين عن الفرنسية ومن اعضاء المجمعين العلميين، بدمشق وبغداد، تعلم بمدينة نابلس (فلسطين)، وبيروت وبالاستانة، ظهر تفوقه الدراسي على كافة اقرانه وبشكل خاص في اللغة العربية، كان من ضباط الاحتياط بالجيش العثماني في الحرب العالمية الاولى (1914م)، تم استدعائه للخدمة العسكرية الالزامية في الجيش التركي للضباط الاحتياط، والتحق بالثورة العربية الكبرى(1916م).

وعندما تصاعد البطش التركي في الاراضي العربية (الثورة العربية)، التحق عادل زعيتر مع صديقه عادل الصمادي (1893–1933م)، بقوات الثورة، نال شهادة الحقوق في باريس (1925م)، وعاد إلى فلسطين محاميا، ومدرسا في معهد الحقوق بالقدس، وفي عام

[1] موسوعة العريق، نبيل خالد الاغا، عادل زعيتر رائد المترجمين العرب خلال القرن العشرين بآسيا، الاكاديمية الفلسطينية للعلاقات الدولية، تارخ الولوج: 20 مارس 2022.

(1953م)، اصبح في المحمع العلمي العراقي وفي عام (1955م)، انتخب عضوا مراسلا للمجمع العلمي العربي في دمشق، انقطع إلى الترجمة فنقل عن الفرنسية سبعة وثلاثين كتابا في التشريح والتاريخ والاجتماع، منها:

ابن الانسان، البحر المتوسط، نابليون، ابن خلدون، لبوتول، ابن رشد والراشدية، لرينان، روح الشرائع لمونتسكو، العقد الاجتماعي، لجون جاك روسو، تاريخ العرب العام ليسدسو، حياة محمد لاميل دار منجهام، الرسائل الفلسفية لقوتير، مفكر الاسلام لكرادرفو، و(حضارة العلرب، وحضارات الهند، والروح الاشتراكية، وروح الثورات والثورة الفرنسية، وفلسفة التاريخ، والروح السياسية، والاراء والمعتقدات)، وكل هده للدكتور غوستاف لوبون[1].

-اللغات التي ترجم عنها:

كان يتقن التركية والفرنسية والانجليزية والالمانية وكانت معظم ترجماته عن الفرنسية ثم تليها الالمانية.

-وفاته: بعد اعتزاله المحامات ظل عادل مقيما في نابلس منكبا عن الترجمة حتى وفاته في 21 تشرين الثاني 1957م نتيجة ازمة قلبية اصابته بينما كان منكبا عن ترجمة كتابا مفكر والاسلام للمؤلف الفرنسي كارادوفو[2].

المطلب الثاني: وصف وعرض الكتاب.

ألف الفيلسوف الدكتور غوستاف لوبون كتابه القيم سنة (1884م)، وترجمه عن الفرنسية الاستاذ الفاضل عادل زعيتر سنة (1945م).

-والكتاب في طبعته العربية (الطبعة الثالثة: 1399هـ/1979م)، يقع في سبع مئة واربع وثمانين صفحة من القطع العادي، ويضم مئتين وخمس صور وثلالث خرائط.

[1] نبيل خالد الاغا. مرجع سابق، ص 56.

[2] حسين محمد بافقيه، 2004، من يحي تراث عادل زعيتر من النهب؟ الشرق الاوسط، العدد 9362، تاريخ الولوج 15افريل 2022.

الطبعة الاولى: (1364هـ/1945م).

الطبعة الثانية: (1367هـ/1948م).

الطبعة الثالثة: (1399هـ/1979م)،

وهي اجود الطبعات، دار احياء التراث العربي، بيروت

- يذكر لوبون في مقدمته (الصفحة 51 من الطبعة الثالثةـ العربية)، ان في الكتاب 360 صورة، ولعل الاستاذ زعيتر اختار كمها 205 صور فقط.

- مقدمة المترجم للطبعة الثانية من الصفحة 3 إلى الصفحة 10، ومما جاء فيها:

"يظهر هذا الكتاب للعالم بديعا في درس حضارة العرب درسا شاملا، ويبدو خير كتاب عن هذه الحضارة، وذلك في بابه وروحه ومناحيه، وقوة التحليل فيه، ووصول لوبون إلى ما نشره فيه من الاهداف الاجتماعية والادبية والسياسية"[1].

"جاء فيها نشر في مجلة (الرسالة)، المصرية: ظهر كتاب حضارة العرب والشبيبة العربية حائر لضعف ايمانها وعوج في ترتيبها، ووهن في ثقافتها، وعجمة في لغتها، ويأس من امتها، وخجل من ماضيها، وغموض في حاضرها، وخوف من مستقبلها، اجل ظهر هذا الكتاب النفيس ليقول[2] بلسان الاجنبي لضعف ايمان: هذا هو الضغر من عظمة الاجداد، فان عليه ايمانك الوطني الضاري الهزيل، ويقول لليأس، من كان لامته مثل هذا الماضي المشرق للامع، لايمكن ان يتسرب اليأس في قلبه، الا اذا كانت قد حقت عليه اللعنة، ويقول الخجل من امته الذي لا يحدثك الا وهو يخلط العربية بالفاظ من لغات متعددة، انك من شعب لا تعرف البشرية انبل منه ولا اشرف، ويقول للوحل من الحتضر والخائف من المستقبل، ان الخوف هو لعنة الحياة، وان الشك في النتصار هو الهزيمة العابسة النكراء".

[1] شوقي ابو خليل، في ميزان غوستاف لوبون، ط01، دار الفكر، دمشق، سنة 1990، ص 49 50.

[2] شرقي ابو خليل، مرجع السابق، ص 49-50.

"وجاء فيها نشر في نشر في مجلة(اليقظة) الشاملة: اننا اذا قلنا لوبون قد انصف العرب فلا نكون قد انصفنا لوبون نفسه' واجدر بنا ان نقول: انه المدرخ البليغ الذي رافع عنهم امام محكمة التاريخ والفارس المحلي في جلبة اذاعة فضائلهم، ففي كل فصل من فصول الكتاب ترى لوبون الذائد المكافح الصوال الجوال...".

– اما (مقدمة المترجم)، في الطبعة الأولى فتقع على الصفحات من 11 إلى 32 وهي عرض لمضمون الكتاب ومنهجه، وجاء في بدايتها:

"كان من نتائج اصطراع الشرق والغرب منذ قرون مضت، والقاء العرب الرعب في قلوب الأوروبيين، ان صار الأوروبيين يشعرون بمذلة الخضوع للحضارة العربية التي لم يتحرروا من سلطانها الا منذ زمن قريب، فاخذوا ينكرون فضل العرب على أوربة وتمدينهم لها، واصبح هذا الانكار من تقاليد مؤرخي أوروبا وكتابها الذين لم يقروا لغير الاغريق والرومان، وساعدهم على ذلك ما عليه العرب والمسلمون من التأخر في الزمن الأخير، فلم يشاؤوا ان يروا للعرب رقيبا تاريخيا، أعظم مما هم عليه الان، غير ناظرين إلى نجم حضارة العرب افل منذ أجيال، وأنه لا بصح اتخاذ الحال دليلا على الماضي.

ولم تخل أوروبا، مع ذلك من مؤرخي ابصروا ما للعرب من فضل في تمدين اوروبا، فالفوا كتبا اعترفوا فيها للعرب بما ليس فيه الكفاية.[1]

راع ذلك الجحود العلامة الفرنسي الكبير غوستاف لوبون، وهو الذي هدته رحلاته في العالم الإسلامي، ومباحثه الاجتماعية إلى ان العرب هم الذين مدنوا اوروبا، فرأى ان يبعث عصر العرب الذهبي من مرقده، وان يبينه في صورته الحقيقية ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فاخرج في سنة (1884م)، كتابه "حضارة العرب "الذي تعرض ترجمته على الناطقين بالضاد".

[1] شوقي ابو خليل، مرجع سابق، ص 50 51.

– ثم عرض الاستاذ زعيتر فصول الكتاب بإسهاب، وأهم النقاط التي انصف لوبون بها العرب وحضارتهم ويختم قائلا:

"فمن درس كتاب "حضارة العرب" وامعان النظر فيه يتبين للقارئ أن العلامة غوستاف لوبون سلك في تأليفه طريقا جديدا لم يسبق إليه أحد، وأنه حاول فيه بعث حضارة العرب، من مرقدها وإظهارها للملأ على وجهها الصحيح.

–ولم العلامة لوبون جهدا في درس حضارة العرب مستندا إلى أهم المؤلفات التاريخية، وإلا مشاهدته الشخصية، فجاء كتابه جامعة للكثير مما في بحثهم في تاريخ الخضارة، فصار من الضروري نقله بأسره إلى اللغة العربية.

– وهذا الكتاب صحيح المناحي والغايات في مجموعه، وهو كغيره من الكتب المهمة، لا يخلو من الهفوات لا تخفى عن القارئ، ولكن هذه الهفوات لا تحط من قيمته العظيمة، وقد أشارت إلى أهمها في هذه المقدمة.

– ولقد اشار الأستاذ زعيتر إلى نقطتين اثنين فقط وهما:

"لا تعتقد أن لوبون أصاب حين ظن ان من أصول الإسلام النظام الأساسي القائل بجمع جميع السلطان على يد سيد مطلق، وحين عزا انحطاط العرب إلى هذا النظام الذي حمل به الناس كما ادعي، على التمسك بأحكام الماضي الإسلامية غير المطابقة لاحتياجاتهم المتحولة، فبعد أن أوضح لوبون أن نظام العرب الديمقراطي، وان مبدأ المساواة التامة ساد الجميع بفضله، وأن الفقهاء ساروا على المبدأ (لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأمكنة والازمان)، وأن المسلمين في عصر خلفاء بغداد وقرطبة الزاهد كانوا يعلمون، بما يأتونه من ضروب الاجتهاد، كيف يوفقون بين ذلك الأحكام واجتياحات الأمم التي انتحلها، كان من الخطأ ذهابه إلى أن نظام الحكم المطلق هو من أصول الإسلام[1].

– والنقطة الثانية التي أشار إليها الأستاذ المترجم هي:

---

[1]غوستاف لوبون، تاريخ حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ط03، دار التراث العربي، بيروت، 1979م، ص19.

"واعترف لوبون للعرب بظهور رجال علماء منهم كما تشهد بذلك اكتشافاتهم ولكنه أبدى ارتيابه في ظهور عباقرة منهم كنيوتن ولايبنز، فنعد ذلك هفوة من العلامة لوبون الذي ذكر في غير موضع أن لافوازيه مدين للعلماء العرب في علم الكيمياء، وأن كليبر وكوبرنيك مدينان للعلماء العرب في علم الفلك مثلا ...

فإن كانت الحضارة العامة سلسلة حلقات، وكانت حضارة العرب من أهم تلك الحلقات كان من المتعذر ظهور نيوتن ولايبنز وغيرهما من أركان حلقة الحضارة الحديثة بدونها، والفضل للمتقدم. [الصفحة 34][1].

– لقد احصينا اكثر من خمسين هفوة وخطأ في: (حضارة العرب)، وهي ذات أهمية كبيرة، خصوصا فيما تعلق منها بالقرآن الكريم والعقيدة، كنا نتمنى من الأستاذ زعيتر وهو عالم فاضل واسع الإطلاع، ولا تفوته معرفة الهفوات والأخطاء أن ينبه إليها ويحذر منها، فضلا عن تفنيدها ورفضها في هوامش الكتاب.

– أما مقدمة المؤلف، فهي على الصفحات من 37 إلى 52 " وبالعرب بدأت، وبسبب ذلك أن حضارتهم من الحضارات التي اطلعت عليها في رحلاتي الكثيرة أحسن مما اطلعت على غيرها، وهي من الحضارات التي كمل دورها وتجل فيها مختلف العوامل التي اوضحنا سرها في ذلك الكتاب، وهي من الحضارات التي نرى الإطلاع على تاريخها مفيدا إلى الغاية وقد جهله الناس تقريبا.

– كلما امعنا في درس حضارة العرب وكتبهم العلمية واختراعاتهم وفنونهم، ظهرت لنا حقائق جديدة وافاق واسعة، وسرعان ما رأينا ان العرب أصحاب الفضل في معرفة القروب الوسطى للعلوم الاقدمين، وأن جامعات الغرب لم تعرف لها، مدة خمسة قرون موردا علميا سوى

[1] غوستاف لوبون، نفس المصدر، ص 34.

مؤلفاتهم، وأنهم الذين مدنوا أوروبا مادة وعقلا وأخلاقا، وان التاريخ لم يعرف أمة انتجت ما انتجوه في وقت قصير وأنه لم يفقهم قوم في الابتداع الفني[1].

وتأثير العرب العظيم في الغرب وهو في الشرق أشد قوة، ولم يتفق لأمة ما اتفق للعرب من نفوذ، الغرب وليلا الشرق، ولا يزال مفتاح ماضي الحوادث في الشرق فعلى العلمان أن يبحثوا عن هذا المفتاح فيه".

"ونحن اذا نختم هذه المقدمة نلخص بما يأتي المنهاج الذي اتبعناه في وضع هذا الكتاب والكي نتبعه فيما نؤلفه من تواريخ الحضارات فنقول:

– من المبادئ العامة: الوجوب في وقوع الحوادث التاريخية، والصلة الوثيقة بين الحوادث الحاضرة وحوادث الماضي.

ومن مواد التأليف: آثار الشعوب التي هي موضوع الدرس وتصويرها تصويرا صادقا ووصف العرق جسما وعقلا، والبيئة التي نشأ فيها العرق، والعوامل التي خضع لها، وتحليل لعناصر الحضارة أي للنظم والمعتقدات والعلوم والآداب والفنون والصناعات، وتاريخ لتكوين كل واحد من هذه العناصر.

"وإن اصابنا التوفيق في عرض صورة واضحة عن العصر الذي ترغب في بعثه، مستعينين بتلك المواد والمبادئ، فإننا نكون قد نلنا ما نتمنى"[2].

– ثم تبدأ مادة الكتاب العلمية: وهي ضمن ستة أبواب:

*الباب الاول: (البيئة والعرق)، من الصفحة 53 إلى الصفحة 125، ويضم هذا الباب ثلاثة فصول:

1) بلاد العرب.

2) العرب.

---

[1] شوقي ابوخليل، مرجع سابق، ص ص 51 52.

[2] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 45.

3) العرب قبل ظهور محمد صلى الله عليه وسلم[1].

*الباب الثاني: (مصادرة قوة العرب)، من الصفحة 127 إلى 182، ويضم هذا الباب ثلاث فصول أيضا.

1)محمد صلى الله عليه وسلم.

2) القرآن الكريم.

وفي هذين الفصلين أكثر الهفوات والأخطاء التي وقع فيها الدكتور لوبون.

3) الباب الثالث: (دولة العرب)، من الصفحة 183 إلى 417، ويظم هذا الباب ثمانية فصول:

1-العرب في سورية.

2-العرب في بغداد.

3-العرب في بلاد فارس والهند[2].

4- حال مصر حين الفتح العربي.

5- إفريقية الشمالية قبل الفتح العربي.

6- العرب في إسبانية.

7- العرب في صقلية وإيطالية وفرنسة.

8- اضظراع النصرانية والإسلام - الحروب الصليبية.

4) الباب الرابع: (طبائع العرب ونظمهم) من الصفحة 419 إلى 521.

1- أهل البدو، وأهل الأرياف من العرب.

2- عرب المدن، طبائهم وعاداتهم.

3- نظم العرب الساسية والاجتماعية.

---

[1] غوستاف لوبون، نفس المصدر، ص ص 53 125.

[2] شوقي ابو خليل، مرجع سابق، ص 54.

4- المرأة في المشرق.

5- الدين والأخلاق.

5) الباب الخامس: (حضارة العرب) من الصفحة 523 إلى690، ويضم هذا الباب عشرة فصول:

1- مصادرة معارف العرب وتعليمهم ومناهجهم.

2- اللغة والفلسفة والآداب والتاريخ.

3- الرياضيات وعلم الفلك.

4-العلوم الجغرافية.

5- الفيزياء وتطبيقاتها.

6-العلوم الطبيعية والطبية.

7- الفنون العربية، الرسم والحفر والفنون الصناعية[1].

8- فن عمارة العرب.

9-نجارة العرب، صلاتهم بمختلف الأمم.

10- تمدين العرب الأوربية، تأثيرهم في الشرق والغرب.

6) الباب السادس: (انحطاط حضارة العرب) من الصفحة 691 إلى708 ويضم هذا الباب فصلين فقط :

1- ورثة العرب، تأثير الأوربيين في الشرق.

2- أسباب عظمة العرب وانحطاطهم (حال الإسلام الحاضرة).

-تم المصادر والفهارس من الصفحة 737 إلى 784.

-من نقاط قوة الكتاب: أنه مزود بصور فوتوغرافية بعضها من تصوي ر المؤلف، والبعض والبعض الآخر من كتب مؤلفين آخرين، لكن جميعها توثق الحقب التي يتناولها في الكتاب

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 60.

من حضارة العرب، فيصور هيئات النساء وملابسهن وجلستهن، وترحال الرجال وتدخينهم الأرقيلة وغيرها، أضف إلى ذلك الأشكال المعمارية التي ينتقل الكتاب بين عصورها وجنسياتها المختلفة في مصر ودمشق وبغداد واسبانيا والهند وشمال إفريقيا...إلخ.

-وكذلك نجد غوستاف لوبون في مقدمته في كتابه حضارة العرب يفخر بأن كتابه أول كتاب انتفع بالفوتوغرافية واستشهاده بالصور المماثلة لقوله: "وما تلقيه صور الآثار التاريخية في الروع من المعاني الصادقة يدفعنا إلى الأكثار منها في هذا الكتاب"[1].

-ويظهر شغفه وفهمه للتصوير حين يقول: "وعدسة التصوير صادقة في ذلك كله لاريب، ولكن الطبيعة هي التي تتغير، فالبناء أو المنظر الواحد الذي تضيئه الشمس له في الصيف أو حين إضاءتها له في الصباح أو المساء".

-المنهج: اعتمد منهجا تحدث عنه في كتابه: "ولا تكفي ألفاظ أي لغة لوصف آثار الشعوب ولا سيما آثار الشرقيين، وإنما نطلع بالمشاهدة على مناظرها ومبانيها وفنونها وعروقها، ولا يستطيع أروع القول أن يؤثر في النفس بمثل ما تؤثر به رؤية الأشياء نفسها أو صورها عند الضرورة، وليعلم القارئ أن كل فصل في هذا الكتاب هو خلاصة عدة مباحث، أبديته من الملاحضات يمكن عده متمما له".

-ويلخص المنهاج الذي اتبعه في الهذا الكتاب، وفيما يؤلفه من تواريخ الحضارات، بما يأتي فيقول:

"من المبادئ العامة: الوجوب في وقوع الحوادث التاريخية، والصلة الوثيقة بين الحوادث الحاضرة وحوادث الماضي، هو من مواد التأليف: أثار الشعوب التي هي موضوع الدرس وتصويرها تصويرا دقيقا، ووصف العرق جسما وعقلا، والبيئة التي نشأ فيه العرق، والعوامل التي خضع لها، وتحليل العانصر الحاصرة، أي أن للنظم والمعتقدات والعلوم والآداب والفنون والصناعات، وتاريخ تكوين كل واحد من هذه العناصر".

---

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص ص 37 38.

ويؤكد للقارئ عن منهجه وتطبيقه للقواعد المضوعية لعرضه بعض القضايا التي تشابه التشويه وعدم الحيادية من البعضر" وسيجد في هذا الكتاب تطبيقا للقواعد التي ابتدعنا بها عن أكثر أحكامنا التقليدية الموروثة في الشرقيين، ولاسيما دين محمد وتعدد الزوجات والرق والحروب الصليبة، والنظم والفنون وتأثير العرب في أوروبة، وما إلى ذلك"[1].

-وهو بذلك يوجه رسالته الغربي بأنه يتخلى عن أحكامه السلبية السابقة أو المسبقة، وينظر في، ذلك مخالف للحق، وأرجو أن يثبت عند للقارئ الذي يقرأ هذا الفصل، بعد أن يطرح عنه أوهامه الأروبية جاذبا، أن مبدأ تعدد الزوجات الشرقي نظام طيب يرفع المستوى الأخلاقي في الأمم التي تقول به، ويزيد الأسرة إرتباطا، ويمنح المرأة احتراما وسعادة لا تراهما في أوروبة".

-أسباب كتابته عن الحضارات:

كان من أسباب كتابته عن الحضارات وعلى الخصوص حضارة العرب ما قاله: "وإننا بعد أن بحثنا في الإنسان وهو منفرد وفي تطور المجتمعات، نرى أن نطبق قواعدنا التي سبطناها هنالك على الحضارات التي اطلعت عليها في رحلاتي الكثيرة أحسن مما اطلعت على غيرها من الحضارات التي كمل دورها، وتجلى فيها مختلف العوامل التي أوضحنا سرها في ذلك الكتاب، وهي من الحضارات التي نرى الاطلاع على تاريخها مفيدا إلى الغاية وهو أقل ما عرفه الناس.

وكلما أمعنا في درس حضارة العرب وكتبهم العلمية، واختراعاتهم وفنونهم، ظهرت حقائق جديدة وآفاق واسعة، لسرعان ما رأينا أن العرب أصحاب الفضل في معرفة القرون الوسطى لعلوم الأقدمين، وأن التاريخ لم يعرف أمة أنتجت ما أنتجوه في وقت قصير، وأنه لم يفقهم قولا من الابتداع الفني"[2].

---

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 36.

[2] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 32.

وفي تاريخ العرب يوضح مافيه من مسائل كثيرة تتطلب حلا وفيها دروس وعبر جديرة بالحفظ، والعرب عنوان أمم الشرق التي تختلف عن أمم الغرب، ولا أوروبة جاهلة لشأنهم، فتعلم كيف تعرفهم".

ويشير لوبون أهمية الرحلات لإطلاع عن كتب ونقل ما ترى العين: "وتعلمنا الرحلات كيف نتحرر من قيود[1] الآراء المتأصلة والتقاليد الموروثة وظلال الماضي وباطلة".

وفي موجز هذا الفصل الذي حاولت فيه إعادة اكتشاف شخصية كان لها تأثير كبير على أفكار العديد من المؤثرين في العالم، كما كان له نشر علمي متميز خصوصا على الحضارات العربية، وقد ذكرت أهم إنجازاته، بحيث أنه كان رمزا المذكرين في عصر، أما بالنسبة لكتابه "حضارة عرب" فقد اعتبر من أهم الكتب الأوروبية التي أنصفت حضارة العربية، أما عند العرب فقد ترجم بدقة من قبل المفكر (عادل زعيتر) الذي بدع في ترجمته.

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 36.

الفصل الثاني: مدراج الإنصاف ومناحي التوفيق في كتاب حضارة العرب.

المبحث الأول: غوساف لوبون منصفا ومتحريا.

المطلب الأول: أمداح غوستاف لوبون لحضارة العرب.

المطلب الثاني: الملاحظات الايجابية لغوستاف لوبون على العقيدة والشريعة.

المبحث الثاني: إقرار غوستاف لوبون بفضل الحضارة الإسلامية.

المطلب الأول: أهم معابر الحضارة الإسلامية في أوروبا والعالم.

المطلب الثاني: أثر الحضارة الإسلامية على الغرب والشرق في مختلف المجالات.

من اهم المدائح التي نسبت للمؤلف غوتساف لوبون فلقد دققت لكتاب "حضارة العرب"، بالتأكيد أنه كتاب أنصف حضارتنا العربية الإسلامية، وهذا الإنصاف واضح وملموس وإذ ننتقي فيما يلي واهم ما جاء بيه لوبان وأبرز ما قال: "فهناك العديد من الملاحظات الايجابية التي تحسب للمؤلف عن حديثه عن العقيدة والاسلام وتاريخ الأمة الإسلامية ورسولها الكريم صلى الله عليه وسلم وقد أصاب المؤلف في العديد من المباحث التي تناولها عن العلاقات والأوضاع الاجتماعية في الاسلام وأوضاع الأجانب في ديار الاسلام.

المبحث الأول: غوساف لوبون منصفا ومتحريا:

المطلب الأول: أمداح غوستاف لوبون لحضارة العرب:

إن النظرة المدققة المتفحصة لكتاب "حضارة العرب" تؤكد أنه كتاب أنصف فيه مؤلفه الدكتور غوستاف لوبون حضارتنا العربية إلى حد بعيد، ونتيجة طبيعية لهذه النظرة الشاملة يقرر الدارس أن إنصاف المؤلف واضح ملموس، وحسن النية متوفر لا ريب فيه، وأن الهفوات التي وقع فيها تؤخذ على محمل حسن، بعيدة كل البعد عن الحقد والدنس والافتراء، لانطلاق لوبون من أرضية الإعجاب بحضارة غير منتم إليها، لها دورها الكبير في النهضة المعاصرة والتقدم الحضاري العلمي الحالي، فأراد إنصافها وتقديم روائعها لبني قومه، ليبدد أوهامهم الموروثة حولها.

ونحن إذ ننتقي –فيما يلي– أهم ما أورده (لوبون) في كتابه: "حضارة العرب" فهذا لا يعني أنه لم يورد غيرها، إننا نورد أبرز ما قاله، وذلك قبل أن نصوب بعض ما أخطأ به، أو نوضح نقاطا خفيت عليه، أو نجلي أشياء غابت عنه، أو نفند أمورا لم يدرك (لوبون)، فعثر عندما عالجها، وجانب الحقيقة عندما أوردها من خلال ما وصل إليه علمه[1].

(01)

وفي نهاية الباب الأول: (مصادر قوة العرب): يتحدث لوبون عن (حياة الرسول صلى الله عليه وسلم)، وبعد عرض جوانب من سيرته صلى الله عليه وسلم، يقرر أنه مما لا ريب فيه أن محمد صل الله عليه وسلم أصاب في البلاد ما لم تصب مثلها جميع الديانات التي ظهرت قبل الإسلام، ولذلك كان فضل محمد صل الله عليه وسلم على العرب كان عظيما، ثم يقول: **"وإذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم، كان محمد من أعظم من عرفهم التاريخ، وأخذ بعض علماء الغرب ينصفون محمدا، مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخيهم عن الاعتراف بفضله، قال العلامة بارتسلمي سنت هيلر: كان محمدا أكثر العرب زمانه**

---

[1] شوقي أبو خليل، مرجع سابق، ص 17.

ذكاءا، وأشد تدينا، وأعظم رأفة، ونال محمدا سلطانه الكبير بفضل تفوقه عليهم ونشر دينه الذي دعا الناس إلى اعتقاده جزيل النعم على جميع الشعوب التي اعتنقته".

(02)

وقبل إيراد الآيات الكريمة التي تقرر أن لا إكراه في الدين، والحوار مع أهل الكتاب بالتي هي أحسن، يقول (لوبون): **"وكان محمد كثير المسامحة لليهود والنصارى، خلافا لما يظن"**[1].

(03)

وفي الفصل الثاني: (القرآن): وتحت عنوان (فلسفة القرآن – انتشاره في العالم)، يذكر أن التوحيد المطلق هو أصل أساسي، فالإله الواحد الذي دعا إليه الإسلام مهيمن على كل شيء، ولا به الملائكة والقديسون وغيرهم ممن يفرض تقديسهم[2]، ويتابع (لوبون): **"وللإسلام وحده كل الفخر بأنه أول دين أدخل إلى العالم التوحيد المحض... وتشتق سهولة الإسلام العظيم من التوحيد المحض، وفي هذه السهولة سر قوة الإسلام، وإدراكه سهل خال مما تراه في الديانات الأخرى، الذوق السليم من المتناقضات والغوامض، ولا شيء أكثر وضوحا وأقل غموضا من أصول الإسلام القائلة بوجود إله واحد، وبمساواة جميع الناس أمام الله، وبضعة فروض يدخل الجنة من يقوم بها، ويدخل النار من يعرض عنها، وإنك إذا ما اجتمعت بأي مسلم من أية طبقة رأيته يعرف ماذا يجب عليه أن يعتقده، ويسرد لك أصول الإسلام في بضع كلمات بسهولة، وهو بذلك على عكس النصراني الذي يستطيع، من غير أن يكون من علماء اللاهوت الواقفين على دقائق الجدل".**

"ويساعد وضوح الإسلام وما أمر به من العدل والإحسان على انتشاره في العالم، وبتلك المزايا نفسر سبب اعتناق كثير من الشعوب النصرانية الإسلام، كالمصريين الذين

---

[1] غوستاف، لوبون، مصدر سابق، ص ص 136 155.

[2] شوقي أبو خليل، مرجع سابق، ص17.

كانوا نصارى أيام حكم قياصرة القسطنطينية، فأصبحوا مسلمين حين عرفوا أصول الإسلام، كما نفسر به السبب في عدم تنصر أية أمة بعد أن رضيت بالإسلام دينا، سواء أكانت هذه الأمة غالبة أم مغلوبة".

(04)

وفي معرض حديث (لوبون) عن مدى تأثير القرآن الكريم والإسلام في الناس، وما يصبه في النفوس إيمانا لا تزعزعه الشبهات، يتابع قائلا: "**ولا ريب في أن نفوذ الإسلام السياسي والمدني كان عظيما للغاية، فقد كانت بلاد العرب قبل محمد مؤلفة من إمارات مستقلة، وقبائل متقاتلة على الدوام فلما ظهر محمد ومضى على ظهوره قرن واحد كانت دولة العرب ممتدة من الهند إلى إسبانية، وكانت الحضارة تسطع بنورها الوهاج في جميع البلدان التي خفقت راية النبي فوقها".**

"والإسلام من أكثر الديانات ملائمة للاكتشاف العلم، ومن أعظمها تهذيبا للنفوس، وحملا على العدل والإحسان والتسامح، والبديهية وإن فاقت جميع الأديان السامية فلسفة، تراها مضطرة إلى التحول 3 الجموع، وهي لا شك دون الإسلام في شكلها المعدل هذا"[1].

(05)

"وبعد أن يذكر (لوبون) قول الفيلسوف (بايل): "**إن من انتشار الإسلام السريع في أنحاء الدنيا إلى أنه يلقي عن كاهل الإنسان ما شق من التكاليف والأعمال الصالحة، وأنه له البقاء على سيء الأخلاق، فقد قائمة طويلة بالأخلاق الكريمة والآداب الحميدة عند المسلمين، فأرى مع القصد في مدح الإسلام، أن تلك القائمة تحتوي على أقصى ما يمكن أن يؤمر به الإنسان من التحلي بمكارم الأخلاق والابتعاد عن العيوب والآثام".**

يقول: "**وسيرى القارئ حين نبحث في فتوح العرب وأسباب انتصاراتهم أن القوة لم تكن عامل في انتشار القرآن، فقد ترك العرب المغلوبين أحرارا في أديانهم، فإذ حدث أن**

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 158 159،

اعتنق بعض الأقوام النصرانية الإسلام واتخذوا العربية لغة لهم، فذلك لما رأوه من عدل العرب الغالبين، مما لم يروا مثله من سادتهم السابقين، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل[1]".

"والتاريخ أثبت أن الأديان لا تفرض بالقوة، فلما قهر النصارى عرب الأندلس فضل هؤلاء القتل والطرد عن آخرهم على ترك الإسلام".

"ولم ينتشر الإسلام بالسيف، بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقت الشعوب الإسلام التي قهرت العرب مؤخرا كالترك والمغول، وبلغ من انتشار الإسلام في الهند التي لم يكن فيها العرب غير عابري السبيل، أن زاد عدد المسلمين فيها على خمسين مليون نفس، ويزيد عدد مسلمي الهند يوما فيوما، مع أن الإنجليز الذين هم سادة الهند في الوقت المعاصر يجهزون البعثات التبشيرية، ويرسلونها تباعا لتنصير مسلميها على غير جدوى"[2].

(06)

وتعقيبا وشرحا لنص تجلت فيه سماحة الإسلام تجاه الأديان الأخرى، وعدل المسلمين الغالبين مما لم يرى شبيها له من قبل، يقر (لوبون) في مقولة طويلة التالي: **"ذكرنا أنفا أن مسامحة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمة للغاية، مما لم بمثله مؤسسو الأديان التي ظهرت من قبله كاليهودية والنصرانية على الخصوص، وسنرى كيف سار خلفاؤه على سنته، وقد اعترف بذلك التسامح بعض علماء المنصفون القليلون، الذين أمعنوا النظر في تاريخ العرب، والعبارات الآتية التي اقتطفها من كتب الكثيرين منهم تثبت أن رأينا في هذه المسألة ليس خاصا بنا، قال (روبرتسون) في كتابه: (تاريخ شارلكن): إن المسلمين**

[1] شوقي ابو خليل، مرجع سابق، ص 20 21.

[2]غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 162.

وحدهم هم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم، وروح التسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، فهم نشرا لدينهم، تركوا من لم يرغبوا فيه أحرار في التمسك بتعاليمهم الدينية[1]".

وقال (مبشود) في كتابه (تاريخ الحروب الصليبية): " **إن الإسلام الذي أمر الجهاد متسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، فقد أعفى الرهبان وخدمهم من الضرائب وحرم محمد قتل الرهبان على الخصوص لعكوفهم على العبادات، ولم يمس عمر بن الخطاب النصارى بسوء حين فتح القدس، فذبح الصليبيون المسلمون...بلا رحمة وقت دخلوها[2]".**

وقال الراهب (ميشو) في كتابه (رحلة دينية في الشرق): " **ومن المؤسف ألا تقتبس الشعوب النصرانية من المسلمين التسامح الذي هو آية الإحسان بين الأمم واحترام عقائد الآخرين، وعدم فرض أي معتقد عليهم بالقوة"[3].**

(07)

وفي الباب الثالث (دولة العرب) وبعد إيراد رسالة الرشيد إلى نيقفور: "**بسم الله الرحمان الرحيم، من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نيقفور كلب الروم،...قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه وما تسمعه"، يقول (لوبون) رأى (كلب الروم) الجواب فقد أغمه الرشيد على دفع جزية سنوية، وبقي سلطانه يمثل أقصى ما انتهى إليه سلطان العرب".**

ثم يقول "**فالحق أن العرب الشجعان لبوا دعوة محمد فغدوا امة واحدة، واقاموا في اقل من قرنين دولة بلغت ما بلغت دولة الرومان من الاتساع فغدت هذه الدولة اكبر دول الارض تمدنا"[4].**

(08)

---

[1] شوقي ابو خليل، مرجع سابق، ص 21 22.

[2] محمد سهيل طقوش، تاريخ الحروب الصليبية، دار النفائس، بيروت. لبنان، 2000،. ص 178.

[3] هرمان هيسه، الرحلة إلى الشرق، ترجمة: ممدوح عدوان، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، دمشق، د.س.ن، ص 156.

[4]غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 220.

ويتابع لوبون فر رسمه الصورة الصحيحة بشان رقي حضارة العرب، التي امتازت في الاندلس، بميل العرب الشديد إلى الفنون والاداب والعلوم، فانشؤوا في كل ناحية المدارس والمكتبات والمختبرات، في الوقت الذي تفشت فيه الامية في اوروبا، حيث كانت الكتب النادرة حتى كتابهم المقدس لا يوجد خارج الاديرة، لقد الحكم في قرطبة مكتبة فيها اربعة مئة مجلد ثم يتحسر لوبون على فعلة (اكريمتيس)[1].

"ظن رئيس الاساقفة الاسباني اكثر يميين انه يحرقه مؤخرا ما قدر على جمعه من كتبه اعداد دينه العرب (اي ثمانين الف كتاب)، محى ذكرهم من صفحات التاريخ إلى الابد، فما درى ان ما تركه العرب من الاثار التي تملأ بلاد اسبانيا يكفي إلى تخليد اسمهم إلى الابد"[2].

(09)

وبعد ان سخر (لوبون) من المؤرخيين الذين يحتمون قيمة انتصار شارل مارتل على المسلمين في بوانيه (بلاط الشهداء)، حيث تقرر مصير العالم في تلك المعركة، فلو غلب الفرنج لكانت الارض قبلة محمد قول: **"ولكن لنفرض جدلا ان النصارى عجزوا على دحر العرب وان العرب وجدوا جو شمال فرنسا غير بارد ولا ماطر كجو اسبانيا، فطابت لهم الاقامة الدائمة به، فماذا كان يصيب اوروبا؟، كان بصيب اوروبا النصرانية المتبررة مثل ما اصاب اسبانيا من التقدم والارتقاء، والحضارة الزاهرة الرفيعة تحت راية النبي العربي، وكان لا يحدث في اوروبا التي تكون قد ذهبت ما حدث فيها من الكبائر، كالحرب الدينية، وملحمة سان بارتامي، مظالم محاكم التفتيش وكل ما لم يعرفه المسلمون من الوقائع التي اغرقت اوروبا بالدماء عدة قرون".**

---

[1] شوقي ابو خليل، مرجع سابق، ص 25 26.

[2] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 339.

"ويجب أن يكون المرء جاهلا تاريخ حضارة العرب جهلا مطلقا ليوافق على ما زعمه ذلك المؤرخ (هنري مارتن) في كتابه عن تاريخ فرنسا الشعبي من أن النشاط الذي يحفز الناس إلى التقدم ليس مما نجده في عبقرية المسلمين، فمزاعم مثل تلك ليست مما يقف أمام سلطان النقد عندما يعلم أن التمدن اللامع حل بالبلاد التي خضعت لأتباع الرسول محل الهمجية".

ويقرر (لوبون) ويجزم أن العرب ذوو أثر بالغ في تمدين الأقطار التي خضعت لسلطانهم: **"وإن كل بلد خفقت فوقه راية الرسول تحول بسرعة، فازدهرت فيه العلوم والفنون والآداب والصناعة والزراعة أيما ازدهار"[1].**

(10)

ويصف (لوبون) استيلاء الصليبيين على القدس سنة 1099م متألما من وحشية ما جرى ومتحسرا على أخلاق قومه وسلوكهم، فالهوة عميقة بين تفكير الرجل المتمدن وسلوكه وعواطفه، وتفكير الرجل المتوحش وسلوكه ونزواته.

ثم يورد قول المؤرخ الراهب التقي (روبرت): **"كان قومنا يجوبون كاللبوات، الشوارع والميادين، وسطوح البيوت ليرووا غليلهم من التقتيل، فكانوا يذبحون الأولاد والشبان والشيوخ ويقطعوهم إربا إربا، وكان لا إنسانا، وكانوا يشنقون أناسا كثيرين بحبل واحد بغية السرعة، فيا للعجب ويا للغرابة أن تذبح تلك الجماعة المسلحة وكان قومنا على كل شيء يجدونه، فيبقرون بطون الموتى ليخرجوا منها قطعا ذهبية، فيا للشره وحب الذهب، وكانت الدماء تسيل كالأنهار في طرق المدينة المغطاة بالجثث، فيا لتلك الشعوب المعدة للقتل ولم يكن بين تلك الجماعة الكبرى واحد ليرضى بالنصرانية دينا، ثم أحضر جميع الذين اعتقلهم في برج القصر، فأمر بضرب رقاب عجائزهم وشيوخهم وضعافهم، ويسوق فتيانهم وكهولهم إلى أنطاكية لكي يباعوا فيها".**

---

[1] شوقي ابو خليل، مرجع سابق، ص 27 28.

ويعقب (لوبون): **"وكان سلوك الصليبيين حين دخلوا القدس غير سلوك الخليفة الكريم عمر بن الخطاب نحو النصارى وقت دخلها منذ قرون"، ثم يورد كاهن لوبري (ريموند راجيل): "حدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها، فقد قطعت رؤوس بعضهم فكان هذا أقل ما يمكن أن يصيبهم بطون بعضهم فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار، وحرق بعضهم في النار[1]، فكان ذلك عذاب طويل، وكان لا يرى في شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم، ولكن هذا لم يكن سوى بعض ما نالوه".**

ويتابع (لوبون) تعليقه على جثث القتلى، التي في الساحات هنا وهناك قائلا: **" لم يكتف الفرسان الصليبيين الأتقياء بذلك، فعقدوا مؤتمرا أجمعوا فيه على إبادة جميع سكان القدس من المسلمين الذين كان عددهم ستين ألف، فأفنوهم على بكرة أبيهم في ثمانية أيام، ولم يستثنوا منهم امرأة ولا ولدا ولا شيخا ".**

"وأراد الصليبيون أن يستريحوا من عناء تذبيح أهالي القدس قاطبة، فانهمكوا في كل ما يستقذره الإنسان، من ضروب الشكر والعربدة، فاغتاظ مؤرخوا النصارى أنفسهم من سلوك حماة النصارى الشائن، مع إنصاف أولئك المؤرخين بروح 23 والتساهل، فنعتهم برنارد الخازن بالسعرى المجانين، 24، الذي كان رئيس أساقفة دول 25 التي تتمرغ في الأقذار"[2].

(11)

وفي معرض حديثه عن المجتمع العربي يقول (لوبون): "واليك ما قاله الفيكونت فوغيه، عندما تلكم عن تزادم افكار طبقات العرب: **لا يسعني سوى الإعجاب بما يسود**

---

[1] غوساف لوبون، مصدر سابق، ص 400 403.

[2] غوساف لوبون، مصدر سابق، ص 400 403.

اجتماعات أولئك القرويين الفقراء من الوقار والأدب، فما أعظم الفرق بين اتزان أقوالهم ونيل اوضاعهم ولغط لني قومنا ووقاحتهم"[1].

(12)

وبعد حديث (لوبون) عن نظام القضاء والمراوغات عن المسلمين، الذي كان بسيطا للغاية، والذي لا يضيع وقت المثقفين الثمين، ولا تثقلهم بالنفقات القضائية، وتكون الأحكام عاجلة **على العموم، فروح العدل، والانصاف نامية كثيرا في العرب، فالعدل أساس الحياة في تلك المجتمعات التي لا تزال على الفطرة.**

ويختم بقوله: **"تختم قولنا في نظم العرب الاجتماعية: بأن نذكر أن العرب يتصفون بروح المساواة المطلقة وفقا لنظمهم السياسية، فمبدا المساواة الذي أعلن في أوروبا قولا لا فعلا، راسخا في طبائع الشرق رسوخا تاما، فلا عهد للمسلمين بتلك الطبقات الاجتماعية التي أدى وجودها إلى أعنف الثورات في الغرب، ولا يزال يؤدي وليس من الصعب أن ترى في الشرق خادما زوجا لابنة سيدة، وان ترى اجراد منهم اصبحوا من الأعيان".**

(13)

وبعد أن ذكر (لوبون) أن مبدأ لتعدد الزوجات ليس خاصا بالإسلام، فقد عرفته أمم الشرق قبل الاسلام، لذلك لم ترى فيه هذه الامم غنما جديدا، ويذكر (لوبون) أيضا الغرب، الذي يكن مبدأ الاقتصار على زوجة واحدة في غير القوانين لا في الطبائع حيث ينذر، ثم يقول: **"ولا نرى سببا لجعل مبدأ تعدد الزوجات الشرعي عند الشرقيين أدنى مرتبة من مبدأ تعدد الزوجات السري عن الأوروبيين، مع أنني أبصر بالعكس ما يجعله اسنى منه، وبهذا**

---

[1]غوساف لوبون، مصدر سابق، ص 439.

ندرك مغزى تعجب الشرقيين الذين يزورون مدننا الكبيرة من احتجاجنا عليهم، ونظرهم إلى هذا الاجتياح شزرا[1].

(14)

"وفي صدد حديثة عن: تأثير الإسلام في أحوال النساء في الشرق، حيث كان لمن الشأن ما اتفق لإخوتهن، يقول (لوبون): **"ان الأوروبيين أخذوا عن العرب الفروسية، وما اقتضته من احترام المرأة فالإسلام اذن لا النصرانية، هو الذي رفع المرأة من الدرك الأسفل الذي كانت فيه، وذلك خلافا للاعتقاد الشائع، فإن نظرت إلى امراء النصارى الاقطاعيين في القرون الوسطى، رأيتهم لم يحملوا شيئا من الخرمة للنساء...".**

"ومن أدلة على أهمية النساء أيام نضارة حضارة العرب، كثرة من اشتهر منهن بمعارفهن العلمية والادبية، فقد ذاع صيت عدد غير قليل منهن في العصر العباسي في الشرق، والعصر الأموي في اسبانية..".

– ويلاحظ لوبون ان الحضارة العربية الساطعة خبت في عهد وارثي العرب، لاسيما في عهد الترك، فنقص شأن النساء كثيرا.

"وما تقدم يثبت أن نقصان شأنهن حدث خلاف القرآن، لا بسبب القرآن على كل حال، لم يقتصر فضل الإسلام على رفع شأن المرأة، بل نضيف إلى هذا انه أول دين فعل ذلك يسهل إثبات هذا اسبابنا أن جميع الأديان، والامم التي جاءت قبل العرب، أساءت إلى المرأة، وهذا ما اوضحناه في كتابنا الاخير، فلا ترى تكرار ما ذكرناه في الاقناع القارئ"[2].

(15)

ومن بداية فصل (الدين والاخلاق)، جعل (لوبون)، الفقرة الأولى تحت عنوان: (تأثير الجين في المسلمين)،

---

[1] شوقي ابو خليل، مرجع سابق، ص30 31.

[2] شوقي ابو خليل، مرجع سابق، ص 31.

"تأثير دين محمد في النفوس أعظم من تأثير اي دين آخر، فلا تزال العروق، المختلفة التي اتخذت القرآن مرشدا لها، تعمل بأحكامه، كما كانت فعل منذ ثلاثة عشر قرنا..."[1].

(16)

العرب مفطورين على قوة الإبداع والنشاط، ولم يكتفوا بمجال الطلب الذي اخفقت به أوروبا في القرون الوسطى، ويقول **(**لوبون**)** بعد هذا: "**الإنسان يقضي العجب من الهمة التي أقدم بها العرب على البحث، فإذا كانت هناك أمم قد تساوت هي والعرب وذلك، فإنك لا تجد أمة فاقت العرب على ما يحتمل...**".

(17)

كما تحدث غوستاف لوبون على منهاج العرب العلمي القائم على التجربة والترصد وقارن بينه وبين منهاج أوروبا ذلك الوقت، وبين أنه لا يمكن تقدير قيمة العرب العلمية الا بتحقيق هذا الفرق: حيث قال: "**اذن اختبر العرب الأمور وجربوها فكانوا أول من أدرك أهمية هذا المنهج في العالم، فظلوا عاملين وحدهم زمنا طويلا قال (دولانبر)، في كتاب (تاريخ علم الفلك): اذا استطعت أن بين الاغريق راصدين أو ثلاثة، رأيت بين العرب عددا كبيرا من الرصاد، وأما في الكيمياء فلا تجد مجربا يونانيا، مع أن المجربين من العرب فيها يعدون بالمئات**"[2].

"**ونشأ عن منهاج العرب التجريبي وصولهم إلى اكتشافات مهمة، فسترى من مباحثنا في أعمال العرب العلمية، أنهم بالحقيقة انجزوا في ثلاثة قرون، أو أربعة قرون، من الاكتشافات ما يزيد على ما حققه الاغريق في زمن أطول من ذلك كثيرا، وكان تراث**

---

[1] شوقي ابو خليل، مرجع سابق، ص 33.

[2] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 529 504 526.

الإغريق العلمي قد انتقل إلى البيزنطيين فلم يستفيدوا منه منذ زمن طويل، فلما آل إلى العرب حولوه إلى غير ما كان إليه، فتلقاه ورثتهم مخلوقا خلقا آخر".

"ولم يقتصر شأن العرب على ترقية العلوم بما اكتشفوه، فالعرب قد نشروها، فالعرب قد نشروها كذلك، بما اقاموه من جامعات، وما الفوه من كتب، فكان لهم الأثر البالغ في أوروبا من هذه الناحية، وسترى في الفصل الذي ندرس فيه هذا التأثير أن العرب وحدهم كانوا أساتذة الأمم النصرانية عدة قرون، وأننا لم نطلع على علوم قدماء اليونان والرومان الا بفضل العرب، وإن التعليم في جامعتنا لم يستغني عما نقل إلى لغاتنا من مؤلفات العرب الا في الأزمنة الحاضرة"[1].

(18)

ويقول لوبون منصفا ومقرا: " **ان أوروبا مدينة للعرب بحضارتها** ".

ولا يمكن إدراك أهمية شأن العرب في الغرب الا بتصور حال أوروبا، حينما ادخل العرب الحضارة إليها: **فإن رجعنا إلى القرن التاسع، والقرن العاشر من الميلاد، حين كانت الحضارة الإسلامية في إسبانيا، ساطعة جدا، رأينا أن مراكز الثقافة في الغرب كانت ابراجنا يسكنها أمراء اقطاعيون متوحشون، يفخرون بأنها لا يقرؤون، وأن اكثر رجال النصرانية معرفة هم الرهبان المساكين الجاهلون، الذين كانوا يقضون اوقاتهم في اديارهم، بخشوع كتب الاقدمين النفسية، فيكون عندهم من الرقوق ما هو ضروري لنسخ كتب العبادة[2].**

"وظلت همجية أوروبا طويل زمن عظيمة جدا من غير أن نشعر بها، ولم يبدو فيها بعض الميل إلى العلم إلا القرن الحادي عشر، وفي القرن الثاني عشر من الميلاد على الخصوص، فلما ظهر فيها أناس رأو أن يرفعوا أكفان الجهل الثقيل عنهم، ولوو وجوههم شطر العرب الذين كانوا أئمة وحدهم".

---

[1] شوقي ابو خليل، مرجع سابق، ص 34.

[2] غوساف لوبون، مصدر سابق، ص 529 674 675 676.

(19)

"وبعد ذكر القنوات التي عبرت من خلالها الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا: (الاندلس وإيطاليا)، يقول (لوبون): " فإن كانت هناك أمة تقر بأننا مدينون بمعرفتنا لعالم الزمن القديم، فالعرب هم تلك الأمة، لا رهبان القرون الوسطى الذين كانوا يجهلون حتى اسم اليونان، فعلى العالم أن يعترف للعرب بجميل صنعهم في انقاذ تلك الكنوز الثمينة اعترافا ابديا، قال مسيو لولم تظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا في الآداب عدة قرون "[1].

"الى بلاد الأندلس كان يذهب أولئك النصارى القليلين، لطلب العلوم في الحقيقة، ونذكر منهم على حسب بعض الروايات التي هي موضوع جدا من غير أن يثبت عدم صحتها، "جربرت " الذي صار بابا في سنة (999م)، بإسم "سلفستر الثاني"، فلما أراد هذا البابا أن ينشر في أوروبا ما تعلمه عن الناس ذلك من الخوارق، فاتهموه بأنه باع روحه للشيطان".

"ولم يظهر في أوروبا قبل القرن الخامس عشر من الميلاد، عالم لم يقتصر على استنتاج ما في كتب العرب، فعلى كتب العرب وحدها عوّل روجربيكن وليوناردو البيري وارنولد الفيلنوفي وريمون لول وسان توما والبرت الكبير، والاذفونس العاشر القشتالي، الخ...[2]"

"قال ميسيو رينان: إن ألبرت الكبير مدين لابن سينا وسان توما مدين في فلسفته لابن رشد"

(20)

[1] شوقي ابو خليل، مرجع سابق، ص 37_38.

[2] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 678 678.

تكلم لوبون على سماحة الإسلام بحيث قال: "**ويمكن القول أن التسامح الديني كان مطلقا في دور ازهار حضارة العرب** ".

(21)

وفي معرض حديث (لوبون)، عن (وراثة العرب في الأندلس)، اي بعد أن غاب العرب المسلمون عن أرضها: "**لم يفكر النصارى بعد أن استردوا غرناطة التي كانت معقل الإسلام الأخير في أوروبا في السير على سنة العرب في التسامح الذي راوه منهم عدة قرون، بل أخذوا يضطهدون العرب بقسوة عظيمة على الرغم من العهود**".[1]

(22)

وماذا جرى في إسبانيا بعد سقوط حكم العرب المسلمين؟.

هذا هو عين ما اصاب اشبيلية عد طرد العرب فقد حل الانحطاط محل العظمة وقد زاد انحطاطها سرعة ما عطلت من قادة عظام حربيين كالذين ظهروا في قرن واحد، وهي حين خسرت سلطانها الحربي وحرمت الحضارة، أضاعت كل شيء.

"**وكان من سرعة الانحطاط الذي عقب اجلاء العرب وقتلهم ما يمكننا ان نقول معه إن التاريخ لم يروا خبر أمة كالاسبان، هبطت إلى دركة عميقة في وقت قصير جدا، فقد توارث العلوم والفنون والزراعة والصناعة، وكل ما هو ضروري لعظمة الأمم عند بلاد إسبانيا على عجل، فأغلقت ابواب مصانعها الكبرى، واهملت زراعة اراضيها، وصارت اريافها بلا ثروات، والمدن اذا كانت لا تزدهر بغير صناعة ولا زراعة خلت المدن اذا الإسبانية من السكان على شكل سريع ومخيف...**".

(23)

حاولت إسبانيا النهوض بعد طرد العرب المسلمين، بحيث قال (لوبون)، " **اجمع كتاب العصر الذين زاروا بلاد إسبانيا على الاعتراف بضعف مستوى الاسبان الثقافي، فكان هذا**

---

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص. 681 694.

الضعف عميقا عاما في أواخر القرن السابع عشر من الميلاد، فبرت تلك البلاد التي أضاعت العالم أيام سلطان العرب خيالية من اية مدرسة لتعليم الفيزياء والرياضيات والطبيعيات، قصرت لا ترى فيها كلها حتى سنة 8888 كيمياويا قادرا على منع ابسط التراكيب الكيمياوية، ولا شخصا قادرا على انشاء مركب أو سفينة شراعية، وذلك كما قال الكاتب الإسباني لا تعرف غير كتب العبادة، ولا عملا غير الامور الدينية".

(24)

وتحت عنوان (أسباب عظمة العرب)، بدأ لوبون بقوله: **"ونذكر على رأس هذه العوامل التي ندرسها، ذلك العامل الذي توحدت بفضله جميع القبائل العربية المنقسمة، وهو الدين الذي جاء به محمد فقد منح هذا الدين ما كانت تحتاج إليه أمم من المثل الأعلى الذي اكتسبوا به من الحمية ما استعدوا به التضحية بأنفسهم في سبيله"[1].**

المطلب الثاني: الملاحظات الإيجابية لغوستاف لوبون على العقيدة والشريعة.

الملاحظات الإيجابية في العقيدة:

نبدأ بملاحظات المؤلف غوستاف لوبون عن العقيدة وفي هذا البحث نبدأ ببيان معنى العقيدة، والمعنى اللغوي: " الحكم الذي لا يقلا الشك فيه لدى معتقده.

وفي الدين: ما يقصد به الاعتقاد دون العمل كعقيدة وجود الله وبعثة الرسل وجمع العقائد. –والمعنى الاصطلاحي للعقيدة: " هي الجانب النظري الذي يطلب الإيمان به أولا قبل كل شيء لا شك فيه، ولا يتأثر بالشبهات، ووجود العديد من النصوص الواضحة عن الإقرار بالعقيدة وإجماع المسلمين عليها، وهي أول ما دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم، وطلب الإيمان به، كما دل على ذلك القرآن في حديثه عن الأنبياء والرسل[2]، فيقول الله

---

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 695 718.

[2] محمد ملكاوي، عقيدة التوحيد في القران الكريم، ط01، مكتبة دار الزمان، المملكة العربية السعودية(مدينة المنورة)، 1985م، ص ص 17 19.

تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[1]، ويقول سبحانه ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[2].

ويقول تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إلى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ ويقول تعالى ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾[3].

ويشهد غوستاف لوبون في حديثه عن العقيدة أن سهولة الإسلام العظيمة تشتق من التوحيد المحض، وفي السهولة سر قوة الإسلام، وإدراكه سهل وخال مما نراه في الأديان الأخرى، ويأباه الذوق السليم، غالبا: من المناقضات والغوامض ولا شيء أكثر وضوحا وأقل غموضا من أصول الإسلام القائلة بوجود غله واحد بمساواة جميع الناس أمام الله.

وببضع فروض يدخل الجنة، من يقوم بها ويدخل النار من يعرض عنها، وأنك إذا اجتمعت بأي مسلم من أي طبقة[4] رأيته يعرف ما يجب عليه أن يعتقد ويسرد لك أصول الإسلام في بضع كلمات بسهولة، وهو بذلك على عكس النصراني الذي لا يستطيع حديثا عن التثليث والاستحالة وما ماثلها من الغوامض من غير أن يكون من علماء اللاهوت الواقفين على دقائق الجدال ويركز الدين الإسلامي عل عقيدة التوحيد التي هي لب العقيدة الإسلامية وروح الوجود الإسلامي، المتمثلة في الإيمان بالله الواحد له الخلق والأمر وإليه المصير[5]، وهو رب كل شيء ومدبر كل أمر وهو وحده الجدير بالعبادة والشكر والطاعة لا الجحود والكفر والعصيان، وفي ذلك يقول تعالى ﴿ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ

---

[1]سورة الانبياء، الاية 25.

[2] سورة النحل، الاية 36.

[3] سورة الانباء، الاية 25.

[4] عبد العزيز عبد المطلب السيد، اثر الحضارة الاسلامية على الشرق والغرب، غوستاف لوبون نموذجا، ط01، دار العلم والايمان للنشر والتوزيع 2014، ص 34_35.

[5] يوسف القرضاوي، حقيقة التوحد، ط02، مكتبة الوهبةد، 1985، ص 5.

شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ، لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1].

وقد أصاب غوستاف لوبون كذلك حينما أقر صراحة أنه من دواعي انتشار الدين الإسلامي، وخاصة أنه يدعو إلى العدل والإحسان فيقول "وساعد وصوح الإسلام البالغ وما أمر به من العدل والإحسان كل المساعدة على انتشاره في العالم، ونفسر بهذه المزايا سبب اعتناق كثير من الشعوب النصرانية الإسلام كالمصريين الذين كانوا نصارى أيام حكم قياصرة القسطنطينية فأصبحوا مسلمين حين عرفوا أصول دين الإسلام، كما نفسر السبب في عدم أي أمة بعد أن رضيت بالإسلام دينا، سواء كانت هذه الأمة غالبة أو مغلوبة، والإسلام من أكثر الديانات ملائمة لاكشافات العالم، وأظمها تهذيبا للنفوس وحملا للعدل والإحسان والسامح وإن فاقت فاقت جميع الأديان السامية فلسفة، تراها مضطرة أن تتحول تحولات ما تستمر بها الجموع وهي لا شك دون الإسلام في شكلها المعدل هذا".

وعن الأخلاق والقرآن تحدث غوستاف لوبون بموضوعية فائقة وقد أصاب في قوله معترفا بأن الدين الإسلامي يدعو إلى مكارم الأخلاق التي دعت إليها الأديان السابقة كاليهودية والمسيحية ولكن الإسلام فاق هذه الديانات لأن أهلنه طبقوا هذه الأخلاق وتمسكوا بها عكس الديانات الأخرى، فيقول " أصول الأخلاق في القرآن صيبة، فقرآن يأمر بالصدقة والإحسان والقرى والإقتصاد في الرغائب والوفاء بالعهد وحب الأقربين واخترام الوالدين وحماية الأيامى واليتامى وبما نجده مكررا فيه من درء السيئة بالحسنة [2].

---

[1] سورة الانعام، الاية 102 103.

[2] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 428.

الملاحظات الإيجابية في الشريعة:

-الشريعة في اللغة: في المعجم الوسيط، ما شرعه الله لعباده من العقائد والأحكام وهي الطريقة، والتشريع هو سن القوانين وعلى ذلك فهي المنهج[1]: وفي ذلك يقول تعالى ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا**﴾[2]، وكذلك ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾[3].

-الشريعة في الاصطلاح: والشريعة هي النظم التي شرعها الله أو أشرع أصولها ليأخذ الإنسان نفسه في علاقاته بربه، وعلاقته لأخيه المسلم، وعلاقته بأخيه الإنسان وعلاقته بالكون وعلاقته بالحياة[4].

-وفي تعريف آخر هي كل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل سواء ما يتعلق بإصلاح العقيدة لتحرير العقل البشري من رق الوثنية والتقليد والخرافات...وما يتعلق بإصلاح الأخلاق لتحرير الإنسان من زيغ الأهواء وفتنة الشهوات.

-وما يتعلق بإصلاح المجتمع لتحرير الأمة من الظلم والفوضى والاستبداد ومن هذا كله جاءت الشريعة بنظام مدني ينظم علاقة الناس بعضهم مع بعض، وعلاقتهم بالسلطة الحاكمة، ويصون لهم حقوقهم ويؤمن للجميع مصالحهم ويحقق في الأرض عزتهم وسيادتهم.

-ومما سبق يتضح أن الشريعة تقوم على ثلاث دعائم أساسية: عقيدة عقلية وعبادة روحية ونظام قانوني قضائي "وهذا يؤكد على أن الإسلام من خلال شريعته دين ودولة"[5].

-وفي مجال الشريعة تحدث لوبون عن المرأة في الإسلام وإباحة الإسلام لمبدأ تعدد الزوجات، وقد دافع المؤلف بموضوعية عن هذه الأوضاع التي أقرها لاإسلام وأوضح كيف

---

[1] اسحق بن عبد الله السعدي، دراسات في تميز الامة الاسلامية وموقف المستشرقين، ج1، ط01، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، قطر 2013، ص 304.

[2] سورة الجاثية، الاية 18.

[3] سورة المائدة، الاية 48.

[4] محمود شلتوت، الاسلام عقيدة وشريعة، ط18، دار الشروق، القاهرة، 1987، ص 10.

[5] عبد الله ناصح علوان، محاضرة في الشريعة الاسلامية وفقهها ومصادرها، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، 2007، ص 9.

أن الإسلام قد قد صان كرامة المرأة وحفظ لها حقوقها دون الأديان الأخرى فيقول " إن من يقرأ القرآن يجد فيه ما في الأديان الأخرى من الصرامة، وإن ما أباحه القرآن من تعدد الزوجات لم يكن غريبا على الشعوب المسلمة التي عرفته قبل ظهور محمد.

–ويقول في موضع آخر " وأرجو أن يثبت عند القارئ الذي يقرأ هذا الفصل بعد بعد أن يطرح عنه أوهامه الأوربية جانبا، أن مبدأ تعدد الزوجات الشرقي نظام طيب يرفع المستوى الأخلاقي في الأمم التي تقول به، ويزيد الأسرة ارتباطا، ويمنح المرأة احتراما وسعادة لا تراهما في أوروبا، وأقول قبل إثبات ذلك، إن مبدأ تعدد الزوجات ليس خاصً بالإسلام، فقد عرفه اليهود والفرس والعرب، مغيرهم من أمم الشرق قبل ظهور محمد، ولم ترى الأمم التي اعتنقت الإسلام فيه نغما جديدا إذا، ولا نعتقد مع ذلك وجود ديانة قوية تستطيع أن تحول الطبائع فتبتدع، أو نضع مثل ذلك المبدأ الذي هو وليد جو الشرقيين وعروقهم وطرق حياتهم[1].

–ويدافع عن هذا المبدأ قائلا " وبما أن التأقلم المؤقت مما يتعزز في جو الشرق ولا يلائم مزاج الشرقيين، كان مبدأ تعدد الزوجات ضربة...ولا أرى سببا لجعل مبدأ تعدد الزوجات الشرعي عند الشرقيين أدنى مرتبة من مبدأ تعدد الزوجات السري عند الأوربيين، وأبصر العكس، فأرى ما يجعله أحسن منه، وبهذا ندرك مغزى تعجب الشرقيين الذسن يزورون مدننا الكبيرة من احتجاجنا عليهم ونظهرهم إلى هذا الاحتجاج شزرا، ومن السهل أن ندرك علل إقرار الشرائع الشرقية لمبدأ تعدد الزوجات بعد أن نشأ عن العوامل الجسمانية المذكورة أنفا، فحب الشرقيين الجم لكثرة الأولاد ميلهم الشديد إلى الحياة الأسرية، وخلق الإنصاف الذي يردعهم من ترك المأة غير الشرعية بعد أن يكرهوها.

–ويستطرد في دفاعه وتبريره عن مبدأ تعدد الزوجات في الإسلام فيقول "يتزوج رب الأسرة صغيرا على العموم، وتضعف زوجته الأولى بعد أن تكون ذات الأولاد الكثرفي حين يبقى تام القوة فيضطر للزواج مرة أخرى بتحريض الزوجة الأولى غالبا بموافقتها تقريبا...وقد يعجب

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص ص 127 397.

المرأ أول وهلة من حمل امرأة زوجه ابالزواج من امرأة أخرى، ولكن العجب يزول حينما نعلم األن النساء المسلمات هن اللواتي يقمن بشؤون المنزل مهما كانت شاقة.

ومن ثم ترى في تلك الأحوال على زوجها بأن يأتي بزوجة أخرى ولاسيما إذا ما علمت أنها تصنع ذلك حينما تكون آخذة في الهرم منهمكة في واجبات الأمومة.

–ويستأنف المؤلف دفاعه وإيراده للأسباب التي تدفع الرجل لتعدد الزوجات قائلا "**حبهم للذرية الكثيرة، ولا عجب فالعقم عند الشرقيين من أعظم ما يصاب به الإنسان والشرقي إذا ما رزق بضعة أولاد طمع زيادة عددهم وتزوج نساء أخر وصولا إلى هذا الغرض**".

ويربط المؤلف حديثه عن تعدد الزوجات في الإسلام بمدى تأثر الإسلام في المرأة المسلمة وما كرمها به من حقوق جعلها تفوق كل النساء في العالم، وفي هذا الموصوع يتحدث المؤلف بموضوعية عن منطق الحقوق التي منحها الإسلام للمرأة ووردت فيها آيات كثيرة في القرآن الكريم فيقول " لم يقتصر الإسلام على مبدأ تعدد الزوجات الذي كان موجودا قبل ظهوره، بل كان ذا تأثير عظيم بدلا من حفظها خلافا من المزاعم المتكررة على غير هدى، والقرآن قد منح المرأة حقوقا إرثية أحسن مما في أكثر القوانين الأوربية... أجل أباح القرآن الطلاق كما أباحته قوانين أوروبا التي قالت به، ولكنه اشترط أن يكون للمطلقات متاع بالمعروف".

ويقارن المؤلف بين وضع النساء في المجتمع العربي قبل الإسلام وما أصابه من واذا نظر إليهن على أنهن مثل البهائم، وكذلك في أوروبا والعصور الوسطى، وبين من احترام المرأة، والإسلام، إذا لا النصرانية، هو الذي رفع المرأة المرأة من الدرك الأسفل الذي كانت فيه، وذلك خلافا للإعتقاد الشائع، وإذا نظرت إلى سيناريوات الأنصارى الدور الأول من القرون الوسطى رأيتهم لم يتحملوا شيئا سيئا من الحرمة للنساء، وإذا تصفحت كتب التاريخ وجدت ما يزيل كل شك في هذا الأمر، وعلمت أن رجال عصر الإقطاع كانوا غلاضا نحو النساء قبل أن يتعلم النصارى من العرب أمر معاملتهم بالحسنى، ومن ذلك ما جاء في تاريخ

غاران لولو هيران عن معاملة النساء في عصر شارل مان نفسه لهن كما يأتي...[1]

"انقضّ شارل مان على أخته في أثناء جدال وأخذ بشعرها وضربها ضربا مبرحا وكسر بقفازه الحديدي ثلاثا من أسنانها" فلو حدث مثل هذا الجدل مع سائق عربة في الوقت الحاضر لبدا هذا السائق أرق منه لا ريب[2].

– ويصل غوستاف لوبون في حديثه عن تكريم الإسلام للمرأة أدى ذلك إلى اشتهار كثيرات منهن في العالم بكافة فروعه وخاصة في بلاد الأندلس فيقول، " إن نساء ذلك الزمن –الذي كان للعلم والأدب شأن عظيم في بلاد الأندلس، كن محبات للدرس في يرعانهن وكان قصر الخليفة يضم لبنى أي هذه الفتاة الجميلة العالمة بالنحو والشعر والحساب وسائر العلوم وكالتبابة البارعة التي كان الخليفة يعتمد عليها في كتابة رسائله، الخاصة، وكانت فاطمة تكتب بإتقان نادر، وتملك مجموعة ثمينة من كتب الفن، وكانت خديجة تنظم الأبيات الرائعة وتشدها بصوتها الساحر، وكانت مريم تعلم بنات الأسر الراقية في إشبيلية، وكانت راضية نابغة عصرها في القرض" وغيرهن كثيرات، ولكي يثبت المؤلف بالدليل القاطع أن الإسلام قد كرم المرأة تكريما عظيما فيقارن بينها وبين نساء في المجتمعات الأخرى في اسبرطة في اليونان، وفي إسبانيا وغيرها من المجتمعات الأخرى التي تحتقر شأن المرأة.

ويتطرق المؤلف بعد ذلك للحديث عن نظام الميراث في الإسلام، وقد أصاب حين وصف هذا النظام بالعدل والإنصاف فيقول: **"وتعد مبادئ المواريث التي نص عليها القرآن بالغة العدل والإنصاف، ويمكن للقارئ أن يدرك هذا من الآيات التي التي أنقلها منهم ولم يبصر في القرآن جميع الأحوال التي عالجها المفسدون فيما بعد، وأن أشير فيه بالدرجة الكافية إلى روحها العامة، ويظهر من مقابلتي بينها وبين الحقوق الفرنسية والإنجليزية أن**

---

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص ص 398 400 401.

[2] عبد العزيز عبد المطلب السيد، مرجع سابق، ص 48.

الشريعة الإسلامية منحت الزوجات اللاتي يزعم أن المسلمين لا يعاشرون بالمعروف حقوقا في المواريث لا تجد مثلها في قوانيننا"[1].

وفي حقيقة الأمر أن نظام الميراث يعد من النظم التي بنفرد بها الإسلام دون سائر النظر سواء كانت وضعية أو سماوية، لأنه أعطى سهما لكل وارث من الأهل وكذلك قرر التركات نظاما يكون فريدا في نوعه، وأيضا لأنه منح الأنثى نصيبا عظيما في هذا الميراث

–وهكذا كما يقول الدكتور عبد الواحد وافي "ووضع الإسلام للميراث نظاما حكيما يكفل توزيع الثروات بين الناس توزيعا عادلا، ويحول حول دون تضخيمها وتجمعها في أيد قليلة، ويفتت رؤوس الأموال إلى ملكيات صغيرة، وذلك بأن يقسم التركة على عدد كبير من أقرباء المتوفي، فيوسع بذلك دائرة الانتفاع بها من جهة ويحول من جهة أخرى دون تجمع ثروات كبيرة في يد فئة محدودة من الناس، فبفضل هذا النظام الحكيم تقل الفروق بين الناس ويقترب بعضهم بعض"[2].

–ومن النظم الحضارية التي تحدث عنها جوستاف لوبون تامة وأصاب في تحليله للوضع أو النظام القضائي في الإسلام القائم على العدل والإنصاف فيقول " ونظام القضاء والمرافعات عند المسلمين بسيط للغاية، أي أنه يقوم بقضاء قاض متفرد معين من طرف ولي الأمر، ولا تستأنف أحكام القاضي، ويحضر الخصوم أمام القاضي بدعوة، ويترافعون إليه مشافهة ويعرضون عليه بيناتهم التي قد تكون على الإقرار أو الشهادة أو التحليف، فينطق بالحكم حالا، وقد أتيح لي مراكش أن أشاهد إصدار هذه الأحكام المختصرة، فرأيت القاضي جالسا في الساحة التي هي أمما قصر الوالي والخصوم والشهود حوله، وأحكام القاضي تنفذ فورا حينما يكون ذلك ممكنا، كأن يأمر بجلد المذنب بضع جلدات، أجل قد لا تتضمن تلك الطرق البسيطة العدل كما تضمنه طرقنا الأوربية المعقدة، ولكنها لا تضيع وقت المتقاضين الثمين

---

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص ص ص 389 404 415.

[2] حقوق الانسان في الشريعة الاسلامية وفي ضوء مصدرها القران والسنة، مجلة كلية التربية، جامعة الازهر، العدد(164 الجزء الاول)، يوليو 2015، ص 21.

على كل حال، ولا تثقلهم بالنفقات القضائية التي تدفع في العالم فتخرب بيوتهم غالبا، وتكون أحكام أولئك القضاة عادلة على العموم مع بساطة تلك الطرق، فروح العدل والانصاف نامية كثيرا في العرب...

ويرجع نموها فيهم إلى أن العدل أساس الحياة في المجتماعت التي لا تزال على الفطرة، لا إلى أمر القرآن وحدد بالعدل على أن العدل من أحسن الفضائل "[1].

وحديث غوستاف لوبون يتطابق تمام التطابق مع بداية النظام القضائي في الإسلام، ففي بدء عهد الإسلام، لم يكن لجماعة المسلمين من قاض غير رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد كانت الطريقة التي يعتمدها في القضاء طريقة وجدانية صرفة لا تعقيد فيها ولا فخامة[2]، بل هي تنحصر في تنفيذ قول الله تعالى ﴿**فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ**﴾ وقوله تعالى ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾[3].

كما وقد أصاب غوستاف لوبون في حديثه عن الرق في البلاد الإسلامية، ولم تمنعه مسيحيته عن الاعتراف بأن الإسلام قد كل الحقوق والحريات لهؤلاء الرقيق بدرجة الأرقاء أنفسهم بوضعها الممتاز عند المسلمين لم يكونو يلجأون بأي حال من الأحوال بالمطالبة بالحرية، لأنهم يتمتعون بكافة الحقوق التي منحت لهم أكثر مما تمتع به الأحرار بحريتهم، فيقول: "**واعترف جميع السياح الذين درسوا الرق ي الشرق درسا جديا بأن الضجة المعرضة التي أحدثها حوله بعض الأوربيين لا تقوم على أساس صحيح وأحسن دليل يقال تأييدا لهذا هو أن الموالي الذين يرغبون في التحرير بمصر ينالون بإبداء رغبتهم فيه أمام أحد القضاة وأنهم لا يلجأون إلى حقهم هذا**".

---

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 390.

[2] عبد العزيز عبد المطلب السيد، مرجع سابق، ص 52.

[3] سورة النساء، الاية 13 14.

ويستشهد على ذلك بكثير من المؤلفين والمأرخين الغربيين فيقول مسيو شارم "يبدو الرق في مصر أمرا هينا نافعا منتجا، ويعد إلغاؤه فيها مصيبة حقيقية، ففي اليوم الذي لا يستطيع وحوش إفريقية الوسطى أن يبيعوا فيه أسرى العرب ولا يرون فيه إطعامهم، لا يحجبون عن أكلهم...

فالرق، وإن كان لطخة عار في جبين الإنسانية، أفضل من قتل الأسرى وأكل لحومهم إذا ما نظر إليه من وجهة نظر هؤلاء الأسرى، وذلك على الرغب من محبي الإنسانية من الإنجليز الذين يقولون إنه أجدر بكرامة الزنوج أن يأكلهم أمثالهم من أن يسودهم أجنبي[1].

وقال مدير مدرسة اللغات بالقاهرة دو فوجاني "ترى الأرقام الذين يستفيدون من الحرية الممنوحة لهم قليلين إلى الغاية مع أن هذه الحرية تسمح لهم أن يعيشوا كما يشاؤون من غير إزعاج، فالأرقاء يفضلون حال الرق السالم من الجور حال القلق الذي يكون مصدر ألم وتعب لهم في الغالب... وترى الأرقاء في مصر أحسن حالا مما كانوا عليه قبل استشراقهم بدلا من أن يكونوا من البائسين المناكيد –وبلغ الكثير منهم– ولاسيما البيض أرقى المناصب في مصر مساويا لابن الزوجة في الحقوق، وإذا كان ابن الأمة هذا بكر أبيه تمتع بكل ما تمنحه البكرية بامتيازات، ولم تكن من غير الأرقاء زمرة المماليك التي ملكت مصر زمنا طويلا، وفي أسواق النخاسة اشترى علي بيك وابراهيم بيك ومراد بيك الجبار الذي هزم في معركة الأهرام، وليس من النادر أن ترى اليوم قائدا أو موضفا كبيرا في مصر لم يكن في شبابه غير رقيق، وليس من النادر أن ترى رجلا في مصر كان سيده المصري قد تبناه وأحسن تعليمه وزوجه ابنته"[2].

---

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 377.

[2] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 377 378.

ويعترف جوستاف لوبون بأن الرفق بالأرقاء لم يكن في بلد دون آخر من بلاد الإسلام ولكنه كان في كل بقعة من بقاع الإسلام، ويقول: "**وليست مصر القطر الوحيد الذي يعامل فيه الأرقاء برفق عظيم، أي أن ما تراه في مصر ترى مثله في كل بلد خاضع للإسلام...والأرقاء عند العرب من الأبناء المدللين أكثر من أن يكونوا من الأجراء " وهذا دليل قاطع شهد به غير المسلمين على أن الإسلام نفسه هو الذي جاء بالأسلوب الأمثل لمعاملة هؤلاء الرقيق، وهذه شهادة الحق**"[1].

المساواة:

وعن المساواة بين البشر في الإسلام من النواحي الاجتماعية والسياسية فقد أصاب جوستاف لوبون في حديثه عنها "**ونختم قولنا في نظام العرب الاجتماعية بأن نذكر أن اللعرب يتصفون بروح المساواة المطلقة وفقا لنظمهم السياسية، وأن مبدأ المساواة الذي أعلن في أوربة قولا لا فعلا، راسخا في طبائع الشرق رسوخا تاما، وأنه لا عهد للمسلمين بتلك الطبقات الاجتماعية التي أدى وجودها إلى أعنف الثورات في الغرب ولا يزال يؤدي، وأنه ليس من الصعب أن ترى في الشرق خادما زوجا لابنة سيده وأن ترى أجزاء منهم أصبحوا الأعيان**".

-ويستكمل حديثه بقوله: "**...صان المسلمون أنفسهم حتى الأن من مثل خطايا الغرب الهائلة فيما يمس رفاهية طبقات العمال، وتراهم يحافظون بالإخلاص على النظم الباهرة التي يسوي بها الإسلام بين الغني والفقير والسيد والأجير على العموم، وليس من المبالغة أن يقال إذا أن الشعب الذي يزعم الأوربيين أنهم يرغبون في إصلاحه هو خير مثال في ذلك الأمر الجوهري**"[2].

[1] عبد العزيز عبد المطلب السيد، مرجع سابق، ص 58.

[2] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 392.

شمولية الإسلام:

وعن شمولية الإسلام ونفوذه السياسي أصاب جوستاف لوبون في حديثه في هذا الصدد، حيث اعترف بأن الإسلام دين دولة وشامل لكل شيء في الحياة الإنسانية، فيقول: **"ولا ريب في أن نفوذ الإسلام السياسي والمدني كان عظيما للغاية، فقد كانت العرب قبل محمد إمارات مستقلة وقبائل متقاتلة دائما، فلما ظهر محمد وقد مضى على ظهوره قرن واحد كانت دولة العرب ممتدة من الهند إلى إسبانية، وكانت الحضارة تسطع بنورها الوهاج في جميع المدن التي خفقت راية النبي فوقها"**[1].

-ومن هذا الامتداد العظيم للإسلام في العالم كان يمثل الدستور السياسي والدين للمسلمين، فيقول غوستاف لوبون "**...ولو كان القرآن دستورا دينيا فقط ما كان هنالك كبير مخطور، ولكن القرآن إذا كان دستورا سياسيا سياسيا ومدنيا أيضا، وإذا كان بطبيعته ثابتا بدت عدم المطابقة بينه وبين الاحتياجات الدائمة التحول في الأمم الثابتة نظمها، وحالت هذه النظم دون تقدم تلك الأمم التي قيدت بقيود الماضي"**[2].

-ويستكمل جوستاف لوبون حديثه عن الأعياد الدينية التي شرعها الله سبحانه وتعالى للمسلمين، لم تكن دينية فقط ولكنها كانت مراسم سياسية لجمع شمل المسلمين فيقول: **"وبلغ تأثير الإسلام في أدق شؤون العرب مبلغا تكون فيه جميع مراسمهم أعمالا دينية، ومن تلك المراسم أنكحتهم وختاناتهم التي وصفناها في فصل سابق والتي ليست في الحقيقة سوى أعمالا دينية ومدنية معا"**[3].

---

[1]غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 126.

[2]غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 394.

[3]غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 421 422.

المبحث الثاني: إقرار غوستاف لوبون بفضل الحضارة الإسلامية.

المطلب الأول: اهم معابر الحضارة الاسلامية إلى اوروبا والعالم.

عاش العرب قبل الاسلام نمط حضاري بسيط خاص بهم، ولم يتجاوز العادات والتقاليد والاعراف التي ورثوها عن اباهم، وظلوا كذلك حتى مجيء الاسلام الذي جاء بديانة جديدة وتغيير الاوضاع الدينية والاجتماعية والسياسية البالية التي عاشوا عليها وليضع للعالم كله اسس حضارية زاهية ترتكز على الشرع الاسلامي.

وخرج المسلمون بعد ان اكتمل الدين الاسلامي من منطقة شبه الجزيلاة العربية على ظهور جيادهم يمسكون بالقران الكريم في يد والسيف يد اخرى ليقوموا بنشر الدين الاسلامي الذي جاء من عند الله للعالمين، وليقوموا بحماية حدود الدولة الاسلامية الناشئة، وحدثت حركت الفتوحات الاسلامية، واستقر العرب المسلمون الفاتحون في بلاد الشام وفارس ومصر وشمال افريقيا والاندلس، وبلاد الهند والصين، وكانت هذه البلاد تتمتع بحضارات عريقة لذلك تحتم على المسلمين ان يقتبسوا من هذه الحضارات، فاقتبسوا من العلوم والفلسفات وطوروها بما يتلائم مع الشريعة الاسلامية[1].

وانتقلت هذه الحضارة عن طريق معابر عديدة اهمها تمثل في الفتوحات الاسلامية والبلاد المفتوحة التي استقر فيها المسلمون وخاصة صقلية والاندلس والتجارة وخركة الحروب الصليبية، فقد تطورت اركان الحضارة الاسلامية، وساعد اهتمام الخلفاء لبمسلمين في ظل الازدخار الاقتصادي الذي تمتعت به الدولة الاسلامية على حركة الترجمة والتاليف وغير ذلك من انواحي الثقافية والحضارية بمعناها الواسع، وانتشرت المدارس والجامعات الاسلامية في كافة العواصم الاسلامية وفتحت كل ابوابها لطالبي العلم، في ظل السماحة الاسلامية، فعندما ثبت العرب المسلمون اقدامهم في صقلية واهتموا بالزراعة وادخلوا الكثير من المحاصيل الجديدة مثل القطن وقصب السكر، ونقبوا في ثروة البلاد الطبيعية مثل الفضة

---

[1] عبد العزيز عبد المطلب السيد، مرجع سابق، ص 79.

والحديد والنحاس والكبريت، كما ادخلوا صناعة الحرير إلى البلاد، وانتشرت اللغة العربية والفن الاسلامي في الجزيرة حتى بعد خروج المسلمين منها فقد اهتم ملوك النورمان بنواحي الحضارة الاسلامية وقاموا بحماية العرب المسلمين المقيمين في الجزيرة، اما اسبانيا فقد فتحها العرب المسلمون في بداية القرن الثامن ميلادي' واتجهوا نحو احياء الارض الميتة وتعمير المدن الخربة حتى اصبحت الاندلس في ظل الخلافة الاموية الاسلامية اغنى البلاد الاوروبية وكل ذلك عن طريق العلم حيث اعتنوا بالادب والعلوم والفنون، ونقلوا علوم الشرق إلى الغرب عند طريق استدعاء العلماء المسلمين من الشرق الاسلامي، واشتد اعجاب الاسبان غير المسلمين بثقافة المسلمين وحضارتهم واتجهوا إلى دراسة الفقه والفلسلفة الاسلامية واساليبها اللغوية، وقد بلغت الحضارة العربية ذروتها بالاندلس في النصف الثاني من القرن العاشر عندما اصبحت مدينة قرطبة، من اعظم مدن العالم واستمر شعاع الحضارة العربية الاسلامية مضيئا في الاندلس في كافة الميادين الثقافية والاقتصادية والفنية، حتى امتد ليضيئ غرب اوروبا في القرن الثاني عشر والثالث عشر وما بعدها، وقد ساعد على قيام هذه النهضة سياسة التسامح التي اتبعها المسلمون[1].

ويقول غوستاف لوبون في تخليد اثار الحضارة الاسلامية في بلاد الاندلس "ان لا يوجد في اسبانيا المعاصرة من اعمال الري سوى ما اتمه العرب"[2].

-وكما ذكرت من قبل ان الحضارة العربية الاسلامية قد استفادت من الحضارات القديمة في البلاد المفتوحة وطورتها بما يتلائم مع الشريعة الاسلامية.

وفي ذلك يقول غوستاف لوبون: **"وكانت معارف اليونان واللاتينية القديمة اساسا لثقافة متعلمي العرب في الدور الاول، وكان هؤلاء كالطلاب الذي يتلقون في المدرسة ما ورثه الانسان من علوم الاولين، وكان اليونان اساتذة العرب الاولين اذا، ولكن العرب**

---

[1] عبد العزيز عبد المطلب السيد، مرجع سابق، ص 79 80 81.

[2] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 294.

المفطورين على قوة الابداع والنشاط لم يكتفي رجال الطب الذين اكتفت به اوروبا في القرن الوسطى فلم يلبثوا ان تحرروا من ذلك الدور الاول" ويقرر كذلك ان العرب كانوا اذا ما استولوا على مدينة صرفوهم إلى انشاء مسجد وإقامة مدرسة فيها وإذا ما كانت هذه المدينة الكبيرة اسسوا فيعا مدارس كثيرة كما في الاسكندرية، وذلك بخلاف الجامعات التي كانت موجودة في المدن موجودة في المدن الكبرى مثل بغداد والقاهرة وطليطلة وقرطبة وصقلية..الخ".

– وعن مناهج العرب العلمية يقول غوستاف لوبون: **" لم يلبث العرب بعد ان كانوا تلاميذ معتمدين على كتب اليونان، ان ادركوا ان التجربة والترصد اللذين هما ركن المناهج العلمية الحديثة، مقام الاستاذ ولكنه يجب ان يعترف اليوم بان ذلك كله من اعمال العرب وحدهم، وقد ابدى هذا الراي جميع العلماء الذين درسوا مؤلفات العرب، فيقول: هبتولد: "ان العرب ارتقوا في علومهم إلى هذه ادرحة التي كان يجهلها القدماء تقؤيبا ويقول سيديو: "وكان من اعتماد العرب على التجربة ان منح ذلك مؤلفاتهم دقة وابداع ونتج عن هذا المنهج التجريبي ان وصلوا إلى اكتشافات مهمة، ولم يكتف العرب بذلك فقد قاموا بنشر العلوم ايضا وذلك من خلال ما اقاموه من جامعات والفوه من كتب وبهذا المنهج العلمي الذي اتبعه العرب المسلمون في العلوم والاداب وقد سبقوا العالم الحديث في استخدامه، بل اخذهم عندهم العربيون، اصبح للمسلمين حضارة عربية اسلامية خالصة لا تشوبه شائبة"[1].**

ونشرت اشعتها على كل العالم الكائن آنذاك في الشرق والغرب، وقد اصاب غوستاف لوبون عرض هذا الاثير العربي الاسلامي في الحضارة على الشرق والغرب، وكان منصفا موضوعيا في ذلك حيث يقول: **"وما عجز الغارقة والفرس والرومان عنه في الشرق قدر عليه العرب بسرعة ومن غير اكراه، ومن ذلك ان مصر التي يلوح انها اصعب اقطار العالم**

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 489 90.

اذعانا للمؤثرات الاجنبية، تبينت في تقل من قرن واحد على افتتاح عمر بن العاص لها، ماضي حضارتها الذي دام نحو سبعة الف سنة معتنقة دينا جديدا ولغة جديدة وفنا جديدا واعتناقا جديدا متينا دام بعد ان توارت الامة التي حملتها عليه".

-ويتابع في قوله: "**وما وفق العرب له مصر من تاثير البالغ اتفق لهم مثله في كل بلد حققت فوقه رايتهم كافريقية وسورية وفارس وقرطبة..الخ.**

وبلغ نفوذهم بلاد الهند التي لم يدخلوها الا عابري السبيل، وبلغ بلاد الصين التي لم يزوروها الا تجارا ولانرى في التاريخ امة ذات تاثير بارز كالعرب وذلك جميع الامم التي اتصل العرب بها اعتنقت حضارتهم، ولو حينا من الزمن..."

ويوضح غوستاف لوبون بامانة وموضوعية كيفية نقل الغرب للحضارة العربية الاسلامية واسسها إلى بلادهم فيقول: "**...وذلك ان مكتبة للمترجمين في طليطلة منذ سنة 1130م، لينقل امم العرب إلى اللغة اللاتينية تحت رعاية رئيس الاساقفة (ريمون)، وان اعماله في الترجمة كللت بالنجاح، ما بدا للعرب بها عالم جديد ولم يتوان الغرب في امر هذه الترجمة في القرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر من الميلاد، ولم يقتصر الغرب على ترجمة مؤلفات علماء العرب كالرازي وابي القاسم وابن سينا وابن رشد..الخ**[1].

الى اللغة اللاتينية بل نقلت اليها ايضا كتب علماء اليونان التي كان المسلمون قد ترجموها إلى لغتهم الخاصة ككتب "جاليمسول" وسقراط وافلاطون وارسطو واقليدس وارشميدس وبطليموس، فذاد عدد ما ترجم من كتب العرب إلى اللغة اللاتينية على ثلاث مئة كتاب ما روى الدكتور لوكلير في كتابه" تاريخ الطب العربي" والحق ان القرون الوسطى لم تعرف كتب العالم اليوناني القديم الا من ترجمتها إلى لغة اتباع محمد وبفضل هذه التجربة اطلعنا على محتويات كتب اليونان ابتي ضاع اصلها ككتاب ابولونيوس في المخروطات وشروح جالينوس في الامراض السارية ورسالة ارسطو في المجارة...الخ.

---

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 335 336 564.

وانه اذا كانت هناك امة نقر باننا مدينون لها بمعرفتنا لعالم الزمن القديم فالعرب هم تلك الامة لا رهبان القرون الوسطى الذين كانوا يجهلون حتى اسم اليونان، فعلى العالم ان يعترف العرب يحميل صنعهم في انقاذ تلك الكنوز الثمينة اعترافا ابديا، قال: "**مسيو ليبري**": " **لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتاخرت نهضمة اوروبا في الاداب عدة قرون ويقول "مسيو رينان": ان البرت الكبير مدين لابن سينا في كل شيئ وان سان توما مدين في جمع فلسفة لابن رشد، وان ترجمات كتب العرب ولا سيما الكتب العلمية ظلت مصدرا وحيدا تقريبا للتدريس في جامعات اوروبا حمسة قرون أو ستة قرون متوالية...**" [صفحة568-562].

وقد انصف لوبون وشهد شهادة حق في حق الاسلام والمسلمين حيث يعترف بصراحة ان السماحة الاسلامية وتسامح المسلمين مع غير المسلمين كانا من اهم عوامل التي ساعدت على انتقال الحضارة العربية إلى الغرب الاوروبي فيقول:...**وليست المذاهب مصدر عدم التسامح في الغالب، بل الاشخاص وكان العرق الغربي من التهذيب والتسامح الذي اقام الدليل عليه في كل مكان منذ فتوحه.. ويمكن القول بان التسامح الديني كان مطلقا في دور ازدهار حضارة العرب، وقد اوردنا على هذا غير دليل ونسهب فيه وانما إلى ماترجمه (مسيو) من قصة احد علماء الكلام العرب الذي كان يحضر بغداد، دروسا كثيرة في الفلسفة يشترك فيها اناس من اليهود والزنادقة والمجوس والمسلمين والنصارى...الخ**[1].

فيستمع إلى كل واحد منهم باحترام عظيم ولا يطلب منه الا ان يستند إلى ادلة الصادرة عن العقل، لا ادلة الماخوذة من اي كتاب ديني كان، فالتسامح مثل هذا هو مما لم تصل اليه اوروبا بعدما قامت به في الف سنة من الحروب الطاحنة وما عانته من الاحقاد المتاملة وما منبت به من المذابح الدينية"[2].

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 568 562.

[2]غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 570 571.

ثم يقرر غوستاف لوبون صراحة معترفا باثر الحضارة العربية الاسلامية في الغرب الاوروبي، وان هذه الحضارة كانت الاساس في النهضة التي كانت في اوروبا في العصر الحديث ثم يقرر كذلك وبانصاف عوامل الحقد والكراهية الدفينة التي يكنخا الغرب الاوروبي للاسلام والمسلمين والتي جعلتهم يحاولون انكار الحضارة الاسلامية في الغرب فيقول: " **والحق ان اتباع محمد، وانهم عندما كانوا لا يرعبوننا باسلحتهم كما في زمن شارل مارتل والحروب الصليبية أو يهددون اوروبا بعد فتح القسطنطينية، كانوا يذلونا بافضلية حضارتهم الساحقة، واننا لم نتحرر من نفوذهم الا بالامس....**

وتراكمت مبشرات للاسلام والمسلمين في قرون كثيرة وصارت جزءا من مزاجنا، واوضحت طبيعة متاصلة فينا تاصل حقد اليهود على النصارى الخفي احيانا والعميق دائما، واذا اضفنا إلى مبشراتنا الموروثة ضد المسلمين مبشرنا الموروث الذي زاد مع القرن بفعل ثقافتنا المدرسة البغيضة القاتلة ان اليونان واللاتين وحدهم منبع العلوم والآداب في الزمن الماضي ادركنا سهولة سر جحودنا العام اتاثير العرب العظيم في تاريخ اوروبا...

–ويستكمل قوله قائلا: "**انه كان للحضارة الاسلامية تاثير عظيم في العالم، وان هذا التاثير خاص بالعرب وحدهم فلا تشاركم فيه الشعوب الكثيرة التي اعتنقت دينهم وعن العرب هؤلاء البرابرة الذين قضوا على دولة الرومان بتاثرها الخلقي أو ان العرب هم الذين فتحوا لاوروبا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية والادبية والفلسفة بتاثيرها الثقافي، فكانوا مدينين لنا وائمة لنا ستة قرون**"[1].

كما كان للعرب صلات تجارية بافريقية فيقول غوستاف لوبون انه كان لعرب المغرب صلات تجارية باقسام افريقية الغربية على الخصوص، وكان لعرب مصر صلات باصقاع افريقية الشرقية والوسطى، وكان عرب مصر يذهبون إلى بلاد السودان بعد ان يقطعوا الصحراء طلبا للذهب والعاج والارقاء، وبلغ العرب في ارتيادهم افريقية بقاعا مهمة، ومنها

[1]عبد العزيز عبد المطلب السيد، مرجع سابق، ص 89 90.

مدن لم يوفق الاوروبيون المعاصرين لزيارتها، وكان العرب يصلون إلى السواحل والى المناطق الوسطى ايضا".

ولم تقتصر علاقة وصلات العرب بالشرق فحسب ولكنهم اتصلوا باوروبا كذلك، ان العرب كانوا سادة البحر المتوسط وكانوا يرسلون إلى جميع الموانئ الاوروبية الافريقية المحيطة بهم وبمنتجاتهم الصناعية والزراعية كالقرن والورق والحرير والجلد وأصبحت الموانئ الاسبانية ذات نشاط كبير كما وصلت علاقتهم واتصلاتهم بروسيا وما بعدها"[1].

وقد اثر الاسلام تأثيرا عظيما في العالم الكائن آنذاك وخاصة البلاد المفتوحة وتظهر آثار الحضارة العربية الاسلامية واضحة جلية في الحضارات والمدنيات الاوروبية والعالمية في العصر الحديث في نواحي الحضارة من النواحي الانسانية في العلوم، وكذلك العلوم الطبيعية والتطبيقية، وأول مظاهر هذا التأثير يظهر في أثر اللغة العربية وانتشارها وتحدث اهل البلاد المفتوحة باللغة العربية، وانتقال الالفاظ والمصطلحات العربية إلى انحاء العالم عن طريق المعابر التي ذكرتها من قبل فيقول غوستاف لوبون في ذلك: " واللغة العربية من اكثر اللغات انسجاما وهي لاريب مختلفة اللهجات في سورية وجزيرة العرب ومصر والجزائر وغيرها، ولم يكن هذا الاختلاف في غير الأشكال[2].

–ويرد غوستاف لوبون على من قالوا بعدم تأثير اللغة العربية في اللغات الاوروبية بقوله: وزعم مؤلف أحد المعجمات الاستشراقية الفرنسية الذي الف حديثا ان إقامة العرب بجنوب فرنسا لم يسفر عن اي أثر، لا في اللهجات ولا في اللغة فقلت قيمة هذا الراي تبد ومما قلناه آنفا، ومن العجيب ان يكرر بعض المثقفين مثل هذا الزعم " وقد شهد الغرب كله بمقدرة اللغة العربية وقدرتها على احتواء عناصر الحضارة ولذا فقد حاربها الغرب الاوروبي وأعداء الإسلام وحاولوا القضاء عليها ولكنها صمدت أمام ضرباتهم، وفي هذا تقول الدكتورة عائشة

---

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 558 562.

[2] عبد العزيز عبد المطلب السيد، مرجع سابق، ص 91–92.

عبد الرحمن" بنت الشاطئ" واذا كانت العربية قد صمدت لكل هذه الحملات الضارية التي جاءتها من الاجانب الغرباء ومن ابنائها المغتربين تحارنا باللهجات العلمية لتظل نائية عن روح القصر، اقول اذا كانت العربية قد صمدت لهذه الحملات فإنها دون ريب تملك القوة الحيوية والصلاحية للبقاء، ما قاومت به محاولات المسخ ورفضت نبوءة لها بالموت، وقد عبر أحد المستشرقين عن نفس الفكرة قائلا: إن المنهاج العلمي قد انطلق أول ما انطلق باللغة العربية ومن خلال العربية في الحضارة الاوروبية، وإن اللغة العربية أداة خالصة لنقل بدائع الفكر في الميدان الدولي، وان استمرار حياة اللغة العربية دوليا هو العنصر الجوهري للسلام بين الامم في المستقبل وقد لاحظ عالم ايطالي كبير ان معظم التعابير العربية التي تغلغلت بكيفية مدهشة في لغة روما لم تنتقل عن طريق التوسع الاستعماري ولكن بفضل إشعاع الإسلام[1].

المطلب الثاني: اثر الحضارة الاسلامية على الشرق والغرب في مختلف المجالات.

1-أثر الحضارة الإسلامية على الغرب في الفلسفة:

لقد كان للفلسفة الإسلامية أثر كبير في الفلسفة العربية، ويوضح جوستاف لوبون ذلك فيقول: **"وباتت الجماهير تمقت الفلسفة مع مع ما تم لهم من المقام الأسمى في جامعات العرب، وكان الخلفاء يرون أن يدرأوا ما ينشأ عن مذاهب الفلاسفة من الفتن الشعبية، فيضطرون في الغالب إلى نفيهم لوقت معين...وللجماهير ما تعتذر به عن معارضتها للفلاسفة، فقد نبذ الفلاسفة أكثر حكام الإسلام، ولم يسلموا بغير العقائد الأساسية كوحدانية الله ورسالة محمد ثم كانو ينشرون آرائهم علنا ويهاجمون بها عقائدهم مؤمنين بعدم الاكفاء بعرضها على المثقفين".**

-ثم يستكمل قوله: **عن المنهج الذي اتبعه الفلاسفة المسلمون واستخدامهم لقواعد الشك وكذلك المنطق والأسس التي قامت عليها الفلسفة الإسلامية فيقول " والحق يقضي**

---

[1] عبد العزيز عبد المطلب السيد، مرجع سابق، ص 95.

بالإعتراف للعرب على أنهم أول من اكتشف ما نسميه حرية الفكر في الوقت الحاضر، فمع ما كان يبديه الفلاسفة من التحفظ الكبير في كتبهم كانت تبدر منهم في الغالب، تأملات مشتملة إلى جانب كبير من الشك والإرتياب ومن ذلك قول أبي العلاء التنوخي الذي عاش في القرن العاشر من الميلاد يقول "اثنان أهل الأرض، ذو عقل بلا دين، وآخر ذو دين لا عقل له"[1].

-ويضيف قائلا: **"ثم رأى فلاسفة العرب أن يفصلوا الدين عن الفلسفة مراعاة للجماهير وأجمل الفيلسوف الغزالي، الذي كان يدرس في القرن الحادي عشر من الميلاد في بغداد...ما انتهوا إليه في الكلمة الآتية: ليست الحقائق التي يردها العقل كل ما في الأمر، فهناك في الحقائق ما يعجز إدراكنا عن الوصول إليها ونحن نقول بها وإن كنا لا نقدر على استخراجها بقواعد المنطق بالأصول المعروفة، وليس مما يخالف الصواب وجود افتراض قائل بوجود دائرة أخرى فوق دائرة العقل، وإن شئت فقل دائرة التجلي الرباني، ونحن إذا كنا نجهل سنن تلك الدائرة ونواسيها جهلا تاما نجد الكفاية في قدرة العقل على الإعتراف بإمكانها"[2].**

-وكان تأثير الفلسفة الأسلامية في الفكر الغربي مركزه الأساسي اسبانيا، فقد تمت ترجمة أعمال الفارابي وابن سينا والغزالي عن طريق الأندلس في طليطلة تحت إشارف ريموند أسقف المدينة وقد ساعد على ذلك الصلات الفكرية والعلمية بين الشرق والغرب والأسلاميين ووحدة[3].

2-أثر الحضارة الإسلامية في الأدب على الشرق والغرب:

كان للعرب المسلمين أثر كبير على الشرق والغرب سواء كان في البلاد المفتوحة وحكمها المسلمين أو البلاد التي اتصلت بالمسلمين ودور العلم الإسلامية في جميع العلوم

---

[1]غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 443 443

[2]غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 444.

[3]عبد العزيز عبد المطلب السيد، مرجع سابق، ص 96.

الإسلامية في جميع العلوم الأنسانية والتطبيقية، ونفرد هذ المبحث عن أثر العرب في الأدب في الشعر والرواية والقصة، ويؤكد جوستاف لوبون حيث يقول " ونال الشعراء نفوذا كبيرا بفضل حب العرب للشعر فكان الشعراء يحركون المشاعر ويرفعون أقواما ويخفضون آخرين كما يشاؤون، وكان في نفوذهم أن منحت قريش الشاعر الأعشى مائة جمل حملا له على عد نشر قصيدة مدح النبي بها...وداوم العرب وحدهم قرضوا من الشعر مالم تقرضه أمم العالم مجتمعة، وكان العرب من حب العرب للشعر أن صارو في بعض الأحيان يؤلفون كتب التوحيد والفلسفة والجبر نظما ومن يطالع قصصهم يرى أكثرهم ممزوجا بقطع شعرية [1]"

-ويستطرد جوستاف لوبون في حديثه عن تأثر الشعر العربي في الشعر الأوروبي فيقول " ومما بلغ، درجة الثبوت، كما يظهر، أن الأوربيين اقتبسوا من قافية العرب، ودلت مباحث فياردو وغيره من الكتاب الكثيرين على أن هذا الذي الأسقف "هوية" قد بينه منذ زمن طويل: ويعزى مصور الشعر الإسباني والشعر البروفرنسي، إلى ما كان لشعرء عرب الأندلس من التأثير: وليلوح لي الرأي هنا قويما كالرأي السابق، ولكن إيضاح الأسباب التي يستند إليها في هذا يتطلب إقامة لا يتحملها هذا الكتاب".

ثم يتحدث المؤلف عن الروايات والأقاصيص ويصرح بأن العرب هم الذين ابتعدوا روايات الفرنسية، وأشهرها مقامات الحريري والهمذاني وألف ليلة وليلة، ثم يوضح كيف اهتم الشرق بالحكايات والأمثال حيث أنها تلائم النفس وتحفظ في الذاكرة بسهولة وذلك بخلاف الأفكار المجردة".

-ويجانب جوستاف لوبون الصواب عندما يصور لقمان على أن شخصيته أسطورية ويختفل حول الزمن الذي وجد فيه، وحقيقة الأمر أن لقمان قد ذكر في القرآن الكريم، على أنه نبي طبقا لكتب السيرة، وعلى أنه حكيم طبقا لأقول المؤرخين فيقول "وبعد لقمان الأسطري أشهر من جاء بالحكايات وجعل محمد لقمان في القرآن مثال الحكمة ويرى فريق من العلماء أنه

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 448.

معاصر لداود، ويراه فريق آخر أنه معصر لإبراهيم، ويرى فريق ثالث أن مؤلف الحكايات شخص غير لقمان ظهر بعد محمد، ويدل بين حكايات لقمان وحكايات أيزوب من الشبه أن ذلك اقتبس من هذا أو أن كليهما استقى من منبع واحد على الأقل"[1].

–ثم يوضح بعد تأثير الأمثال العربية على أوروبا فيقول " ومن العرب اقتبست اسبانيا وبقية أوروبا عدة من الأمثال غير قليل، ومن يدقق في حكمة سانكويانسا يرى قسمها الكبير، الذي لا ينضب من الأصل االإسلامي مثل " استفد من شبابك العمر قصير، منهومان لا يشبعان طالب العلم وطالب المال " ويستكمل حديثه من اهتمام العرب بالمسلمين بالبيان والبلاغة واهتمامهم بالأسلوب كثيرا، وكثرت كتبهم في البلاغة والنحو[2]، وهكذا يتأكد التشابه بين الزجل الأندلسي، وبين الشعر التروبادور من حيث الأوزان والقوافي، التي لم تلتزم قبل ذلك في الشعر الأندلسي والإسباني، هذا إلى جانب أن المستشرق الألماني "فيتزجرالد" قد قام بترجمة رباعيات عمر الخيام كما حاولت الرومانتيكية في ألمانيا في القرن التاسع عشر الإتصال بالشعر الشرقي من مدخل إنساني، حتى شغل هذا الأدب الشرقي جيزا كبيرا في تاريخ الأدب الألماني في هذه الفترة.

وإذا نظرنا إلى فن الموشخات الأوروبي نجد أنه قد تطور تطورا كبيرا في الأندلس فقد استبدل بعض الوشاحين الخرجات الأعجمية بخرجات عربية بلهجة أندلسية وهذا محفوظ في كتابات ابن سينا ولسان الدين الخطيب وهم من غرناطة في الأندلس.

كما اقتبس الأدب الأوروبي، وخاصة في الأندلس القصص العربية الخرافية التي تتخذ من الحيوان موضعا لها مثل كليلة ودمنة، التي ترجمت في إسبانيا تحت اسم التعاليم الكنائسية التي ترجمها " بطرس ألفرس اليهودي" كما تم ترجمة "ألف ليلة وليلة "، وأن قصة "روبنس كروزو" مأخوذة عن قصة حي بن يقضان لابن الطفيل والتي ترجمت إلى اللاتينية

---

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 450.

[2] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 454.

وإلى الانجليزية، وأيضا المقامات العربية للحريري والهمذاني وغير ذلك من الآداب العربية التي انتقات إلى اللغات الأوروبية وعلى ذلك يعترف قائلا: "**أنه قل من يستطيع أن يذكر ما تمتاز به آداب الجنوب الأوروبي من استنباط وخيال خصب يرجع إلى ما تأثرت به تلك الآداب بالمؤثرات العربية، كما يرجع إلى ما خلفته الثقافة العربية من آثار في أهل الأندلس**"[1].

3-أثر الحضارة العربية الإسلامية على الغرب في الكتابة التاريخية:

لقد كان للمؤرخين العرب المسلمين في إسبانيا وصقلية في فترة الحروب الصليبية أثر كبير على كتابة التاريخ ويؤكد ذلك جوستاف لوبون قائلا "إن عدد مؤرخي العرب كان كثيرا حتى أن أحد الكتاب قد عد 1200 مؤرخ عربي، مثل الطبري والمسعودي وأبو الفرج الأصفهاني، وابن خلدون وغيرهم"[2].

-وهناك شواهد كثيرة تشير إلى تأثر الدراسات التاريخية الإسبانية بمثيلتها العربية قبل إنشاء مدرسة الترجمة بطليطلة، وهناك أمثلة أخرى تدل على أن هذا التأثر استمر متصلا إلى القرن السابع عشر، أي إلى الوقت الذي قامت فيه إسبانيا بالتخلص من العرب أساسا، ومن العربية لغة وفكرا وثقافة، وقد بدأت هذه المؤثرات مبكرة عقب الفتح العربي الإسلامي لإسبانيا، فظهرت بعض المصنفات التاريخية من تأليف نفر من المغتربين الأندلسيين وتتضمن بعض الروايات التاريخية التي سمعوها عن المؤرخين العرب ومن أمثلة المصنفات: الحولية البيزنطية العربية سنة 741م، وهي تاريخ عام يتضمن أخبارا عن بعض ملوك القوط في إسبانيا، ولم يخف مؤلف هذه الحولية ما كان يشعر به من إعجاب وتقدير لنبي محمد صلى

---

[1] سعيد عبد الفتاح عاشور. تارخ اوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1976، ص 492.

[2] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 454.

الله عليه وسلم، مما جعل المؤرخين المحدثين يرجحون أنه لم يكن إسبانيا، وقد تم الإعتداء في هذه الحولية على المصادر البيزنطية والعربية[1].

4- اثر الحضارة العربية الإسلامية على الغرب والشرق في الرياضيات:

ولم يقف فضل العرب وحضارتهم على العالم في العلوم الأدبية فحسب، ولكنه تعداها إلى العلوم التطبيقية ومنها الرياضيات التي كان لهم دور كبير في اكتشاف الكثير من أصولها يؤكد جوستاف لوبون ذلك فيقول: "اتسع البحث في الرياضيات ولاسيما علم الجبر عند العرب، وعزى إلى العرب اكتشاف علم الجبر تحويلا تاما، وإليهم يرجع الفضل في تطبيقه على علم الهندسة، وبلغ علم الجبر من الانتشار بين العرب ما ألف معه محمد ين موسى الخوارزمي كتاب موطأ له بأمر المأمون في أوائل القرن التاسع من الميلاد، ومن ترجمة هذا الكتاب اقتبس الأوروبيين معارفهم الأولى لعلم الجبر بعد زمن طويل، واقتصر على ذكر أهم أعمال العرب الرياضية بإيجاز، لما في 1 مفصلا من الدخول في الدقائق الفنية، وأقول إن العرب هم الذين أدخلوا المماس إلى علم المثلثات وأقاموا الجيوب مقام الأوتار، وطبقوا علم الجبر على الهندسة، وحلوا المعادلات المكعبة وتعمقوا في مباحث المخروطات، وحولوا علم المثلثات 2 بردهم حل المثلثات الأضلاع إلى بعض نظريات أساسية تكون قاعدة له"[2].

وهكذا أفلح جوستاف لوبون وأصاب في بيان فضل العرب على العالم أجمع في الرياضيات بكافة فروعها، فقد بنى المسلمون معارفهم في الرياضيات على أساس من علوم اليونان والهنود، ثم تقدموا بهذه العلوم وخطوا بها خطوات واسعة نحو الأمام حتى ظهر منهم في المشرق علماء بارزون في العلوم الرياضية مثل الخوارزمي، وثابت ابن قرة والبتاتي والخازن البصري، وعمر بن إبراهيم الخيام، أما المغرب الإسلامي فقد ظهر مسلمة

---

[1]عبد العزيز عبد المطلب السيد، مرجع سابق، ص 107.

[2]غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 455.

المجريطي إمام الرياضيين بالأندلس، وابن الصفار الكرماني وأمية بن أبي 3 وغيرهم، وتقدم المسلمون بالحساب خطوات واسعة فأضافوا إلى معلومات اليونانيين كثيرا من النظريات التي لم تعرفها أوروبا من قبل، كما علموا الأوروبيين نظام الإعداد الهندسي الذي يمثل ثورة شاملة في عالم الحساب وخاصة قيمة العدد الواحد بتغير وضعه في الآحاد أو العشرات أو المئات أو الآلاف[1].

5) أثر الحضارة العربية الإسلامية على الشرق والغرب في الفلك:

ويعتبر علم الفلك من العلوم التي أبدع فيها العرب إبداعا كبيرا ترك أثاره على الشرق والغرب، وفي هذا الشأن الهام يعترف جوستاف لوبون بفضل العرب على العالم في هذا المجال حيثما يتحدث عن أهم المدارس الفلكية التي أقامها العرب، وعن الذين اشتهروا من العلماء العرب، ويوضح أهم الاكتشافات الفلكية للعرب فيقول: "وتلخص اكتشافات العرب الفلكية بما يأتي إدخال المماس إلى الحساب الفلكي منذ القرن العاشر الميلادي، ووضع أزياج لحركات الكواكب، وتعيين دقيق لانحراف الشمس ونقصانه التدريجي، وتقدير 5 الإعتدالين بالضبط، وتحديد صحيح لمدة السنة، وتحقيق لشذوذ أعظم للقمر، وكشف للاختلاف القمري الثالث المعروف بالاختلاف في الوقت الحاضر"[2].

وحقيقة الأمر أن الله سبحانه وتعالى أنزل على رسوله الكريم في القرآن الكريم الذي هو دستور الإسلام النظري والتطبيقي كثيرا من الآيات الدالة على احتواء الدين الجديد لكافة نواحي الحياة الإنسانية والعلمية ومنها علم الفلك بكافة مظاهره[3]، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿...**يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا..**﴾[4]، ويقول كذلك: ﴿**يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ**

[1] عبد العزيز عبد المطلب السيد، مرجع سابق، ص 111_112.

[2] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 464 456.

[3] عبد العزيز عبد المطلب السيذ، مرجع سابق، ص 115.

[4] سورة الاعراف، الاية 54.

النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ..﴾[1]، ويقول أيضا: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[2]، ويقول جل شأنه: ﴿... يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ...﴾[3].

ومن هذا المنطلق اتجه العلماء المسلمون ناحية الفلك وتطويره خاصة وأن حياة العرب قبل الإسلام كانت مرتبطة بالفلك والنجوم والكواكب والشمس والقمر، ولا شك فإن تقدم العرب في العلوم الرياضية كما رأينا سابقا ساعد على تفوقهم في هذا العلم "علم الفلك" الذي أولوه اهتماما وعناية فائقين، ويدل على ذلك المراصد العديدة التي انتشرت في مختلف المدن الإسلامية شرقا وغربا ومنها مراصد سمرقند في العراق ودمشق في بلاد الشام والقاهرة في مصر وفاس في المغرب وطليطلة وقرطبة في الأندلس[4].

6) أثر الحضارة العربية الإسلامية على الشرق والغرب في العلوم الجغرافية:

ولقد كان للعرب المسلمين الريادة على العالم في العلوم الجغرافية قبل أن يغزوها أهل أوروبا، وكان لهم الفضل الكبير في اكتشاف واختراع الكثير من 6 في هذا المجال ونقله إلى العالم شرقا وغربا، ويؤكد جوستاف لوبون في كتابه "حضارة العرب" الذي نحن بصدد دراسته وتحقيقه ذلك حيث يتحدث بالتفصيل عن ريادة العرب الجغرافية، وكيف أن هذه الريادة بدأت مع مجموعات من التجار المسلمين الذين جابوا أنحاء الأرض ووصلوا إلى بلاد الصين في أقصى الشرق والتي كان الأوروبيين يعتقدون بعدم وجودها، وبعد ذلك يتحدث عن الرحالة المسلمين مثل المسعودي وابن حوقل وابن بطوطة وما قام به هؤلاء الرحالة في رحلاتهم[5].

ثم يتناول بالتوضيح ما حققه العرب في العلوم الجغرافية حيث يقول: "كان من نتائج ريادة العرب ومعارفهم الفلكية التي ذكرتها أن لعلم الجغرافية تقدمهم و8 فالعرب الذين اتخذوا

---

[1] سورة الزمر، الاية 5.

[2] سورة يس، الاية 40.

[3] سورة لممان، الاية 29.

[4] سعيد عبد الفتاح عاشور، مصدر سابق، ص 507.

[5] عبد العزيز عبد المطلب السيد، مرجع سابق، ص 118.

في 9 علماء اليونان، ولاسيما بطليموس لم يلبثوا أن أفاقوا أساتذتهم فيه على حسب عاداتهم فكانت مواضيع المدن الكثيرة التي عينها بطليموس تعيينا جغرافيا غير مطابقة للحقيقة تماما وبلغ مقدار غلطه في تعيين طول البحر المتوسط وحده أربعمائة فرسخ"[1].

وعن أهمية كتب العرب في الجغرافيا يقول جوستاف لوبون: "**وكتب العرب التي 11 إلينا علم الجغرافيا مهمة للغاية، وكان بعضها أساسا لدراسة هذا العلم في أوروبا قرونا كثيرة**".

وبعد أن يستطرد جوستاف لوبون في سرد الكتب الهامة التي ألفها العرب في هذا المجال يتعرض لأهم أعمالهم ثم يبين فضلهم على العالم قائلا: "وتكفي الخلاصة السابقة لإثبات شأنهم مع ذلك، ولولا إصرار الأوروبيين الخاص على الموروثة التي لا تزال باقية حيال الإسلام لتعذر السبب في أفكار العلماء أفاضل الجغرافية كمسيو دوسان مارتم لذلك الشأن، ومع ذلك يكفي ما أتى به العرب من عمل كبير لإثبات قيمتهم، فالعرب هم الذين انتهوا إلى معارف فلكية مضبوطة من الناحية العلمية عدت أول أساس للخرائط، فصححوا أغاليط اليونان العظيمة في المواضع والعرب من ناحية الريادة هم الذين نشروا رحلات عن بقاع العالم التي كان يشك الأوروبيين عن وجودها فضلا عن عدم وصولهم إليها والعرب من ناحية الأدب الجغرافي هم الذين نشروا كتب قامت مقام الكتب التي ألفت قبلها، فاقتصرت أمم الغرب على استنساخها قرونا كثيرة"[2].

وقد زود العرب كتبهم الجغرافية بكثير من الخرائط فكتاب الشرف الإدريسي المعروف بنزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق مزود بأكثر من أربعين خريطة، وترجم إلى اللاتينية حيث اعتمد عليه الأوروبيين أكثر من ثلاثة قرون، والإدريسي هو الذي كلفه روجر الثاني ملك صقلية بوضع خريطة جامعة أثبتت أن معلومات

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 468.

[2] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 471 469.

العرب الجغرافية أوسع مما كان يظن، ويقال أن فاسكو دي جاما قد درس الخرائط التي وضعها العرب للبحار، وكذلك كولومبس قد اطلع على كتب العرب في الجغرافيا والرحلات قبل القيام برحلته لاكتشاف أمريكا، وهذا يتصل بما ذكره الإدريسي الإخوة المغربيين الذين خرجوا من لشبونة واتجهوا إلى المحيط الأطلسي غربا حتى اكتشفوا أكثر من جزيرة، ومعنى ذلك أن العرب فضلا عن جهودهم التي استفاد منها كولومبس حاولوا عبور المحيط الأطلسي والوصول إلى العالم الجديد قبل كولومبس بكثير.

وقد ساعد العرب على القيام برحلاتهم العلمية والتجارية معرفتهم بالبوصلة المغناطيسية التي اخترعوها واستخدموها في أسفارهم واستخدموها في الملاحة ونقلوها إلى أوروبا.

ومن الكشوفات لجغرافية التي تمت على يد العلماء الجغرافيين المسلمين وانتقلت إلى أوروبا معرفة أجزاء من العالم في آسيا وإفريقيا لم تكن معلومة للعالم من قبل، وكذلك تفسير حركة المد والجزر في البحار والربط بينهما، والجغرافية الاقتصادية والملاحة البحرية[1].

7) أثر الحضارة العربية الإسلامية على الشرق والغرب في الفيزياء والميكانيكا:

كما برع العرب في العلوم الإنسانية برعوا كذلك في العلوم الطبيعية والعلمية فنجد أثارهم واضحة في علوم الفيزياء والميكانيكا ويتحدث جوستاف لوبون فيقول: "**وإن كانت الكتب العربية قد وصلت إلى أوروبا قليلة، فإن أهمية كتب العرب في الفيزياء توضح في كتاب "الحسن بن الهيثم" في البصريات والذي أعده مسيو شال، والذي يعد حجة في هذه الموضوعات ومصدر معارف أوروبا للبصريات**".

[1]عبد العزيز عبد المطلب السيد، مرجع نفسه، ص 122 121.

كما يتحدث عن الميكانيكا عند العرب "معارف العرب الميكانيكية العملية واسعة جدا، ويستدل على مهاراتهم الميكانيكية من بقايا آلاتهم التي انتهت إلينا من وصفهم لها في مؤلفاتهم...وخاصة ذات الأثقال"[1].

ولقد أصاب جوستاف في توضيحه فضل العرب في الابتكارات والإضافات التي ابتكروها وأضافوها إلى علمي الطبيعة والميكانيكا، فقد كان علماء العرب المشهورين في 13 "البيروني" الذي عاش أواخر القرن العاشر والنصف الأول من القرن الحادي عشر ميلادي، ومن أعماله في علم الطبيعة تعيين الكثافة النوعية الثمانية عشر نوعا من الأحجار الكريمة، كما وضع القاعدة التي تنص على أن "الكثافة النوعية للجسم تتناسب مع حجم الماء الذي يزنه"، وشرح أسباب خروج المياه من العيون الطبيعية والآبار الارتوازية في ضوء نظرية الأواني المستطرقة[2].

وكذلك العالم المسلم "الحسن بن الهيثم" الذي عاش في لفتة 965م إلى 1030م واشتغل بالعدسات والبصريات، وله عدة رسائل في أضواء الكواكب وفي الضوء...

وقد استقى علماء الغرب وخاصة رجور بيكون معلوماتهم من ابن الهيثم، وعلى رأس علماء العرب المسلمين "ابن سينا" الذي قام ببحوث ودراسات وتجارب في الحركة والطاقة والفراغ والضوء والحرارة والكثافة النوعية التي استفاد منها الباحثين الأوروبيين في مجال طبقات الأرض[3].

8-أثر الحضارة العربية الإسلامية على الشرق والغرب في الكيمياء :

لقد كان للعرب أثر عظيم وفضل ضخم على الشرق والغرب في عالم الكيمياء، وقد أصاب جوستاف لوبون في توضيح الفضل للعرب فيقول: " والمعارف التي انتقلت من اليونان إلى العرب في الكيمياء ضعيفة، ولم يكن لليونان علم بما اكتشفه العرب من المركبات

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 473 474.

[2] سعيد عبد الفتاح عاشور، مصدر سابق، ص 513.

[3] عبد العزيز عبد المطلب السيد، مرجع سابق، ص 125.

المهمة كالكحول وزيت الزاج (الحامض الكبريتي) وماء الفضة (الحامض النتري) وماء الذهب وما إلى ذلك، وقد اكتشف العرب أهم أسس الكيمياء كالتقطير...قال بعض المؤلفين، إن لافوازية واضع علم الكيمياء، وقد نسوا أننا لا عهد لنا يعلم من العلوم، ومنها علم الكيمياء، صار ابتداعه دفعة واحدة وأنه وجد العرب عن المختبرات ما وصلوا به إلى اكتشافات لم يكن لافوازية، ليستطيع إلى اكتشافاته بغيرها"[1].

-ثم يتحدث عن علماء العرب في هذا العلم وعلى رأسهم "جابر بن حيان" الذي كان له المؤلفات الكثير، وقد احتوت هذه المؤلفات على مركبات كانت مجهولة من قبل وكذلك على أعمال أساسية كالتقصير وغيرها والتي لم توصف من قبل...ويتناول بالحديث عن الرازي الذي أول من وصف زيت الزاج (الحامض الكبريتي) والكحول وبين طرق الحصول عليها.

-ولقد أصاب جوستاف كبد الحقيقة، فقد توصل العلماء العرب المسلمين إلى ابتكارات واكتشافات عديدة في علم الكيمياء بعد أن ظل هذا العلم مشوبا ببعض الخرافات والأوهام كالبحث عن إكسير الحياة الذي يشفي من جميع الأمراض، فقد حللوا كثيرا من المواد تحليلا كيميائيا، وميزوا بين الغلوات والأحماض وشرحوا كثيرا من التفاعلات الكيمياوية[2].

9-أثر الحضارة العربية الإسلامية على الشرق والغرب في العلوم الطبية:

-لقد كان لعلماء العرب كبير الفضل على العالم أجمع في الطب والصحة وقد أصاب جوستاف لوبون، حينما تحدث عن كتب الرازي وابن سينا التي ظلت أساسا للتدريس في جامعة لوفان في القرن السابع عشر ميلادي، وأوضح أبو القاسم القرطبي وهو أشهر جراحي العرب أن كتبه كانت المصدر العام التي استقى منه جميع من ظهر من الجراحين بعد القرن الرابع عشر، ويتحدث كذلك عن علم الصحجة أو الطب عند العرب ومدى اهتمامهم به فيقول " لم يجعل العرب أهمية حفظ الصحة، وكان العرب يعرفون جيدا أن علم الصحة يعلمنا طرق

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 477 474.

[2] عبد العزيز عبد المطلب السيد، مرجع سابق، ص 127_128.

الوقاية من الأمراض التي لا يستطيع الطب شفاءها وكانت مناهجهم الصحية طيبة منذ القديم، وما أمر به القرآن من الوضوح والامتناع عن شرب الخمر ثم سار عليه أبناء البلاد الحارة من تفضيل الطعام النباتي على الطعام الحيواني غاية في الحكم، وليس فيما نسب إلى النبي من الوصايا الصحية ما ينتقد ".

-وعن فضل العرب في علم الطب في أوروبا يقول جوستاف لوبون " وتنطوي مدرسة ساليرم على نصائح غالية في علم الصحة، ولا أحد يجهل أن هذه المدرسة التي عدت أول مدرسة في أوروبا زمنا طويلا، مدينة للعرب بشهرتها، وذلك أن الرومان لما استولو على صقلية وعلى جزء من إيطاليا في أوساط القرن الحادي عشر من الميلاد أحاطوا مدرسة الطب التي أنشأها العرب بما أحاطوا به المعاهد الإسلامية ومن الإعتناء الكبير، وأن القسطنطين الإفريقي الذي كان من عرب قرطاجة، عين رئيسا لها وأنه ترجم أهم كتب العرب الطبية إلى اللغات اللاتينية، فاقتطفت من هذه الكتب وصايا مدرسة ساليرم التي ظلت سبب شهرتها الفائقة زمنا غير قصير[1].

-كما تحدث المؤلف بصراحة وموضوعية تامة عن تقدم العرب في الطب والجراحة وتشخيص الأمراض ووصف العلاج والأدوية، وأتبع ذلك بفضل العرب على العالم والنهضة الحديثة التي استقت المعارف الطبية من علوم العرب كاستعمال الماء البارد في معالجة حمى التيفود، والعقاقير التي استخدمها العرب والمستحضرات الصيدلية التي لازالت تستخدم حتى اليوم، ويعترف أيضا بأن الكتب العربية في هذا المجال كانت ولا تزال مراجعة أساسية وأصلية ومهمة حتى وقت قريب في أوروبا، ويعد اعتراف جوستاف لوبون الصريح بفضل الدين الإسلامي من آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة في تطور العلوم الطبيعية وتناولها لعلاج كثير من الأمراض من حيث التشخيص وكيفية العلاج، وهذا الاعتراف يرجع إلى عقلية نابهة وقلب سليم فاهم لدستور الدين الإسلامي وكيف كان هذا الدستور ناقعا شافيا

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 494 488.

للدنيا والآخرة في تناوله حياة الإنسان وأن العلم الحديث يؤكد ما ذهب إليه القرآن الكريم والأحاديث الشريفة بطريقة علمية[1].

-وعن العامرة لدى العرب يأسف جوستاف لوبون، عن قلة الاهتمام بهذا الفن عند العرب إلا أنه يتحدث بإسهاب عن عناصر هذا الفن من حيث المواد الإنشائية والأقواس، والمأذن والقباب، والنقوش العربية، كما يذكر المباني التي بناها العرب في كل البلاد المفتوحة وما تميزت به من حيث التراكيب الفنية.

-ويشهد الأوربيون بفضل المسلمين وحضاراتهم على الحضارة الأوروبية الحديثة أمثال بريفولد، ريتشارد كول، شارليز سنجر، سارتون...[2].

ختاما لهذا الفصل نجد أن المؤلف قد أصاب في تأكيد الحقيقة في تعريفه وعرضه للحضارة الإسلامية، وأثرها الكبير سواء على الشرق أو الغرب، لما وصل إليه العرب في مختلف العلوم والآداب والفنون، وسياستهم الحربية، كما تكلم عن أخلاق وسماحة المسلمين، فكتابه جاء كاشفا عن مكنون الحضارة الإسلامية جامعا لعلومها وفنونها.

[1]عبد العزيز عبد المطلب السيد، مرجع سابق، ص 131.

[2] عباس محمود العقاد، اثر العرب في الحضارة الاوروبية، ط2، نهضة مصر لنشر والتوزيع، الاسكندرية، 2005، ص36.

الفصل الثالث: مهاوي التجني ودركات الاخفاق في كتاب حضارة العـرب

المبحث الأول: الموقف المتجني للحركة الاستشراقية من دين الاسلام وسيرة نبيـه صلى الله عليه وسلم.

المطلب الأول: تجنيات حركة الاستشراق على الاســـلام.

المطلب الثاني: تجنيات غوستاف لوبون في حق القران ونبي الاسـلام صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: نماذج من تجنيات غوستاف لوبون في تناول تاريخ الغرب الاسلامـي.

المطلب الأول: تجنيات في تناول تاريخ افريقيا الشمالية (الغرب الاسلامي).

المطلب الثاني: تجنيات في تناول تاريخ اسبانيـــا (الاندلس).

المطلب الثالث: تجنيات في تناول تاريخ فرنسا وصقليـــة.

رغم انصاف لوبون عن آثار حضارتنا، ودفاعه عن فتوحاتنا بكل روح علمية عالية المستوى، إلا أنه يصدم القارئ لكتابه بعد هذا الإنصاف، بأقواله في القران الكريم، وفي حق الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن حق لوبون والاستشراق أن يقول، ومن حقنا الرد وتفنييد الخطأ ويجب تعليق عن أهم الهفوات والأخطاء التي وقع فيها في الجزء الذي تناوله على الغرب الاسلامي.

المبحث الأول: الموقف المتجني للحركة الاستشراقية من دين الاسلام وسيرة نبيه صلى الله عليه وسلم

المطلب الأول: تجنيات حركة الاستشراق على الاسلام.

هناك العديد من التعريفات للباحثين المعاصرين لمفهوم الاستشراق، ومنها ما جاء في كتاب (الاستشراق والتاريخ الإسلامي –القرون الإسلامية الوسطى)، للدكتور فاروق عمر فوزي، وكتاب (الحركة الاستشراقية مراميها واغراضها)، للدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي وعيرها ممن عنوا بدراسة هذه الحركة...

– فالاستشراق لغة: كلمة مصدرها الفعل (استشرق)، والمعنى طلب الشرق، ويمكن وضع (استغرب) مقابلا لها، وتكون بمعنى طلب الغرب، واسم الفاعل من استشرق: (مستشرق) ومن استغرب: (مستغرب) فطالب الشرق هو المستشرق وطالب الغرب هو المستغرب، غير ان اللفظ الأول صار اشمل من الثاني، فالأول مصطلحا أطلق على مجموعة من الناس اختلف جنسياتهم ودياناتهم وتوصيفاتهم أضحى (الشرق) هدفا رئيسيا لدراساتهم على مختلف الأصعدة الدينية، السياسية، الاقتصادية، الثقافية، والاجتماعية وغيرها. في حين لم تحصل لفظة (مستغرب)، أكثر من دلالتها اللغوية وهي طلب الغرب، والتي نريد بها الاستدلال على مجموعة من المثقفين الشرقيين، الذين مالوا للغرب، واعجبوا بحضارته وصاروا مقلدين لسلوكياته منسلخين من عاداتهم وتقاليدهم ولم تستعمل العربية مصدر الفعل (استشرق) أو (استغرب)، بها تبين الدلالتين آنفتي الذكر، بل استعملت مكانتها مشرق ومغرب، فالتشريق:

اخذ ناحية الشرق والتغريب اخذ ناحية الغرب، وشتان بين المستشرق والمستغرب[1]، واورد بعض الباحثين لفظة "مستغرب" ليعطي مدلولا اصطلاحيا أقل شمولية من لفظ (مستشرق)[2]، على ان الأخير يشير إلى الشخص الذين كان هدفه الشرق بشكل عام، غير أن (المستغرب)، يدل على الشخص الذي هدفه الأساسي هو طلب دراسة تاريخ حضارة والعرب المسلمين، وهذا ما اورده الباحث محمد فتح الله الزيادي في كتابه المرسوم ب(ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها).

وبالتالي فإن هؤلاء المستشرقين على إختلاف جنسياتهم ان كان المانيا من غرب أوروبا أو روسيا أو من امريكا...، وكذلك على إختلاف دياناتهم بين يهوديا أو نصرانيا من أهل الكتاب أو من أهل الديانات الوضعية كالمجوسية أو البوذية المنتشرة في اصقاع الأرض، أو على تنوع توصيفات بين سياسيا أو عسكريا أو باحثا علميا بدافع شخصي أو بتكليف رسمي، والتي يتلخص مفهومها على أنها حركة غايتها تطويق الشرق عموما والعالم الاسلامي خصوصا، وجعله تابعا للغرب دينيا، سياسيا، فكريا، ثقافيا، وعلميا، من خلال جملة من التشويهات والافتراءات وذلك لتحقيق غايات وأهداف.

فقد ظهرت الحركة الاستشراقية كرد فعل على النجاح الذي حققته الديانة الاسلامية ورسولها الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، ومن بعده الصحابة والتابعين رضي الله عنهم والمسلمين وقادتهم على مر العصور الإسلامية، اما رد الفعل فهي: (الحركة الاستشراقية) وقادتها، والتي راقها هذا النجاح الإسلامي.

وهذه مقارنة بسيطة بين الفعل ورد الفعل لتضع الدارس في الصورة الحقيقية للاستشراق فالانتشار الواسع للإسلام في المناطق العربية وغير العربية التي دانت بمختلف

---

[1] بوزقاو مريم، الاستشراق بين الرفض والقبول في الثقافة العربية، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الادب العربي نظام ل م د، تخصص: الادب الاندلسي في ضوء الدراسات الشرقية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2019–2020، ص6.

[2] سعدون الساموك، الاستشراق ومناهجه في الدراسة الاسلامية، ط1، دار مناهج للنشر والتوزيع، 2010، ص 16 27.

الديانات آنفة الذكر ازعج رجال هذه الديانات وهذا هو النجاح الديني للديانة الاسلامية[1]، فظهر المبشرون بمنهجهم المتعصب المتطرف الموجه ضد الإسلام ومثال هذا النوع من المستشرقين، المستشرق البلجيكي "هنري لامس"، والمبشر الفرنسي "زويمر".

منهاج الاستشراق وموقف الباحثين العرب:

بدأت الحركة الاستشراقية بدايات بسيطة وغير منظمة ثم اصبحت بعد توالي القرون حركة ثابتة لها نظامها الداخلي الذي لا تحيد عنه، اذ يتضمن هذا النظام أهداف هذه الحركة، كما أضحى لها مؤسسات أو منظمات ضخمة علنية وسرية منتشرة في جميع أنحاء العالم، ويديرها قادة محنكين لديهم أتباع يعملون على تطبيق برامج زودوا بها على إختلاف أنواعها وطرق تطبيقها، علما أن هؤلاء الاتباع قد يكونوا من جلدة هذه الأحكام كالآتي:

اولا: الفريق الذي حكم على هذه الحركة ككتلة واحدة دون تجزئتها وقد خرج هذا الفريق بمواقف انحصرت بين القبول المطلق أو الرفض المطلق أو المواجهة، وهي:

1/موقف القبول المطلق:

تمثل هذا الموقف بالقبول المطلق والاشهار بإسهامات المستشرقين، وهذا ما يلاحظه القارئ في قول الباحث محمد خليفة حسن في كتابه (آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية)، ساهم المستشرقون في تطوير منهج نقدي للبحث في التراث الاسلامي نتج عنه ايقاظ الوعي المنهجي لدى المسلمين..

للاستشراق دوره في تحديد مكانة التراث الإسلامي بين تراث الشعوب الاخرى، كم قال: دفع الاستشراق المسلمين إلى ضرورة تطور نظامهم التعليمي، مما أدى إلى ظهور نظم تعليمية وتربوية جديدة وكذلك الحال الموقف نجيب العقيقي عندما قال: "ولو وازنا بين عناية المستشرقين بتراثنا واكتشافه وتحقيقه وما قمنا نحن به في سبيله وآثاره[2] وبين ترجمة أحد

[1] بوزقاو مريم، مرجع سابق، ص 65 87.

[2] بوزقاو مريم، مرجع سابق، ص 65 87.

أعلامنا آثاره لوجدنا يضاهيه علميا، وعدد كتب، وانه لا غنى عن معظمها في علومنا أو ادبنا أو فنونا، ولا سبيل إلى حشد فضلها.

2/موقف الرفض المطلق: لقد رفض أصحاب هذا الموقف الحركة الاستشراقية رفضا مطلقا، فلم يقبلوا اي إسهام من أناس لا يدينون بالديانة الإسلامية ومنه موقف الشيخ محمد الغزالي في كتابه الموسم ب (دفاع عن العقيدة والشريعة... ضد مطاعن الاستشراقين).

3 موقف المواجهة:

يقوم هذا الموقف على الدراسة والبحث والغوص في اسهامات المستشرقين والتعرف على مواطن الضعف في هذه الاسهامات مع معرفة تامة بمواطن قوة الإسلام، والانطلاق بأن كل ما جاء به الإسلام.

فهو حق لا تزعزعه الأهواء ولا الآراء الشاذة علما ان هذه المواجهة قد اعترفت بوجود ظاهرة الاستشراق كما تعترف بتأثيرها على المتلقيين المسلمين.

ثانيا: وهو الفريق الذي درس الحركة وتتبع مراحل تطورها واصدر حكما في مناهجها التي اتبعتها على انها هي الاخرى –المناهج– تطورت على مراحل وهذا ما لوحظ في (كتاب الاستشراق والتاريخ الإسلامي)، للدكتور فاروق عمر فوزي فقال (شهد النصف الأول من القرن الثامن عشر نظرة جديدة إلى الإسلام ونبيه، ذلك أن عصر التنور الأوروبي كان من جوانب عديدة متجزرا من النزعة اللاهوتية التي شجعتها الكنيسة في أوروبا والمعادية للإسلام)، ثم يقول في موضع آخر: (إن من أواخر جيل المستشرقين الذين برزوا في النصف الثاني من هذا القرن – القرن العشرين– والذين اهتموا بالسيرة النبوية ونالت دراساتها شهرة كبيرة بسبب نزعتها الايجابية نسبيا)[1].

ثالثا: فريق درس الحركة التاريخية من النشأة والدوافع والأهداف.

---

[1] بوزقاو مريم، مرجع سابق، ص 89.

نجد تباين في الأحكام لدى الباحثين العرب تجاه حركة الاستشراق والسبب هو ان هؤلاء الباحثين قد أصدروا احكامهم ومواقفهم مستندين على. آراء ومواقف المستشرقين، وخاصة اتجاه الدين الاسلامي واهله وحضارتهم وعندما وجد الباحثين العرب والمسلمين اختلاف مناهج هؤلاء المستشرقين بيت متعصب ومتطرف ومتحامل ضد الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين، وبين معترف بنجاحات الدولة الإسلامية والسياسية والعسكرية والحضارية، كأنهم يظهرون في كتاباتهم أنهم في جوانب معينة راضين ومتقبلين لتعاليم الديانة الإسلامية وسنة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ويبشرون بها كالمستشرق الفرنسي غوستاف لوبون منطقيا ستكون تقييمات الباحثين العرب بين الرفض والقبول[1].

إذن الاختلاف المنهجي للحركة الاستشراقية هو أحد أسباب اختلاف مواقف الباحثين العرب، ولكن م يثير الشكوك للقارئ أو الدارس وخاصة العربي المسلم الي يعرف ويؤمن بها قال تعالى في كتابه الغزيز: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا نصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدي ولئن اتبعت اهوائهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير﴾ ، والسؤال المطروح هنا هو: لماذا بعض هؤلاء المستشرقين اعترفوا ورضوا وقبلوا ولكن دون أن يسلموا بل بقوا على دياناتهم؟ وهل هذا المنهج الذي اتبعوه هو منهجهم حقا، ونابعا عن حسن نية، أم أحد الاساليب المغرضة التي تعود عليها الإسلام المسلمين منذ قيام الدولة الإسلامية؟، والأدهى من ذلك وصل الأمر بأصحاب هذا المنهج مهاجمة زملائهم في الحركة من المستشرقين اصحاب المنهج المتعصب والمتطرف، ولكن بتتبع الدراسة لمواقف المستشرقين الذين أطلق عليهم بعض الباحثين عدد من التسميات معبرة عن قبول الاخريين بإسهاماتهم ومنها: منصفين، نزيهين، موضوعيين، أو معتدلين...الخ.

---

[1]بوزقاو مريم، مرجع سابق، ص ص 88 89.

فهناك غوستاف لوبون الذي أشاد به العديد من الباحثين العرب ومنهم الباحث شوقي أبوا خليل في كتابه (غوستاف لوبون)، لاشك بعيدة عن التعصب والتشنج، وبعيدة عن الحقد والكراهية وبعيدة عن الشتائم والسباب).

بينما نجد القارئ في كتاب هذا المشرق بعيد نوعا ما عن الموضوعية، حيث يعمل لوبون على وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بتجاوزات لا تليق، قائلا: حقا ومن اعاجيب التاريخ ان يلبي نداء ذلك المتهوس الشهير شعب جامح شديد الشكيمة لم يقدر على قهره فاتح...

ومن هنا يظهر الشك والتساؤل حول منهج هؤلاء المستشرقين الذين اطهروا في مؤلفاتهم اعترافاتهم بنجاحات الدولة الإسلامية، وهل وراء هذا المنهج تضليلا للمسلمين بشكل عام والباحثين العرب بشكل خاص؟[1].

المطلب الثاني: تجنيات غوستاف لوبون في حق القران ونبي الاسلام صلى الله عليه وسلم.

1/ افتراءات غوستاف لوبون على الدين الاسلامي والقران الكريم:

لقد اتفق جميع المستشرقين على اختلاف العهود التي ظهروا فيها وعلى اختلاف جنسياتهم واعراقهم التي ينتسبون اليها، على ترديد جملة من الافتراءات الحاقدة على الدين الاسلامي واهله، ومن هذه الافتراءات التي رددها هؤلاء المستشرقون وعلى رئسهم غوستاف لوبون، انكارهم سماوية الدين الاسلامي، وان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو صانع هذا الدين، وبالتالي هم يشككون بنبوته صلى الله عليه وسلم وان الوحي فيض من خاطر النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهو ناتج عن تاملاته الشخصية وخواطره الفكرية، وما كان يصيب الرسول صلى الله عليه وسلم من عناء عند نزول الوحي هو ناتج عن مرض الصرع

[1] بوزقاو مريم، مرجع سابق، ص 90 89.

الذي فيه وليس الوحي من الله تعالى، فضلا عن افترائاتهم برد الدين الاسلامي والقران الكريم إلى اصول نصرانية ويهودية، وقساوسة النصارى.

فيقول غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب: ويجب عد من فصيلة جميع المستشرقين اذ يدعون ببشرية الدين الاسلامي وينكرون بانه دين سماوي.

ثم يتلفظ غوستاف لوبون بالكلمات نفسها في موضع اخر من الكتاب قائلا: وكانت هنالك اخطاء اخرى تهدد بخنق عمل محمد في مهده فقد ظهر متهوسون كثيرون هزمهم ما ناله محمد من التوفيف فرأوا ان يدعوا النبوة ايضا، فاستطاع احدهم ان يجعل نصف سكان اليمن من اتباعه...[1].

واقصر متهوس اخر على اضافة بعض السور إلى القران، ونلاحض هنا لوبون يقول فرأوا ان يدعوا النبوة ايضا، وهنا يوحي لوبون صراحة ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد ادعى النبوة مرة اخرى.

اما بخصوص انكار لوبون واقرانه المستشرقين حقيقة الوحي الذي نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم، فيقول انه عبارة عن خواطر وتاملات نفسية، فقد ذكر غوستاف لوبون: كان محمد صلى الله عليه وسلم في حالة بحران، فكان ينشد السكون في تلك الجبال التي كان يذهب فيخلو فيها بنفسه متاملا في السماء ذات الكواكب منضتا إلى ما كان سمعه من اعمق اعماق قلبه... وذلك الصوت هو صوت الحقيقة الابدية الخارج من قلبه الاشياء نفسها.

كما ادعى لوبون ان الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم هو مؤلف القران الكريم فقال " ويقال ان محمد كان قليل التعلم ونرجع ذلك والا وجدت في تاليف القران ترتيبا اكثر مما فيه"، ثم يناقض لوبون نفسه في موضوع اخر فيقول ان بلاغة الرسول محمد صلى الله عليه

---

[1] رياض سالم عواد الجبوري، الحركة الاستشراقية ومنهج التحليل (كتاب غوسناف لوبون نموذجا)، دراسة في موقف الاستتشراق المضلل من السنة النبوية، ص 215 216.

وسلم كان سبب في اجتذاب اتباعه، فيقول كان محمد يقابل ضروب الاذى والتعذيب بالصبر وسعة الصدر، وكان يتجتذب ببلاغة في كل يوم اصحابا اخرين[1].

وذلك ايحاءا منه ايضا على الرسول صلى الله عليه وسلم هو كاتب القران وفصاخة اياته، ثم صرح لوبون في مكان اخر قائلا: " القران هو كتاب المسلمين المقدس...وهذا الكتاب المقدس قليل الارتباط... وان كان جديرا بالذكر احيانا عاطلا من الترتيب فاقد السياق كثيرا، ويسهل تفسير ذلك عند النظر إلى كيفية تاليفه، فهو قد كتب في الحقيقة تبعا لمقتضيات الزمن"، ويصر لوبون على هذا الاعتداء بان القران الكريم هو من صنع البشر وليس وحي من الله عز وجل فيقول: "واقتصر متهوس اخر على اضافة بعض السور إلى القران"[2].

أما قضية افتراءات غوستاف لوبون بخصوص رد الدين الاسلامي والقران الكريم إلى اصول يهودية ونصرانية فانه قال: "وتقول القصة ان محمدا سافر مرة مع عمه إلى سورية، فتعرف في بصرى على راهب سطوري في دير نصران، فتلقى منه علم التوراة... وتهيأ له ذلك السفر إلى سورية والاجتماع مرة الثانية بالراهب الذي اطلعه سابقا على علم التوراه وردا على الافتراء فان المصادر التاريخية نشير إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ذهب مع عمه ابو طالب في رحلة تجارية إلى الشام، وكان صلى اله عليه وسلم حينها صغيرا لايسمح له سنه بتلقي كتاب سماوي كبير مثل التوراه، ولم يكن هذا اللقاء الا عابرا فضلا عن ان الرسول صلى الله عليه وسلم سافر في هكذا رحلة مع عمه مرة واحدة فقط، وان كان لوبون يقر بهذه بهذه الرواية فعليه ان يؤمن بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو صغير حينها علامات النبوة، انه النبي الذي اخبرهم الله عز وجا في التوراة والانجيل، وعندها حذر بجري ابا طالب من كيد اليهود والنصارى لم علموا به، فهل يقر لوبون بجزء من الرواية ويترك الجزء الاخر؟،

---

[1] رياض سالم عواد الجبوري، مرجع سابق، ص 216.

[2] شوقي ابو خليل، مرجع سابق، ص 125.

ويذكر لوبون ان الرسول صلى الله عليه وسلم تلقى علم التوراه، فلماذا لم يتلقى منه الانجيل؟ خصوصا وان الراهب كان النصراني سطوري؟. وللرد على هذه الشبهة يمكن القول: ان عنصر المعجزة لا يفارق القران الكريم فاذا ثبت ان محتويات القران مقتبسة من اليهود والنصارى والفرس، فان صياغة القران ليست منهم لان لغاتهم اعجمية، ولغة القران عربية في مستوى الاعجاز واذا بقي عنصر المعجزة في القران، ولم من ناحية واحدة وهي ناحية الصياغة يكون دليل على انه من الله، ولا تبقى حاجة إلى اثبات ان القران معجزة في محتواه، كما هو معجزة في صياغته والواقع ان القران معجزة واضحة في صياغته[1]، وهذه ما فهمتها الجزيرة العربية ومن ورائها ادبار العرب في كل زمان ومكان، ولكنه معجزة اضخم في محتواه وهذه ما تفهمها العقول العلمية والقانونية إلى يوم القيامة.

2) اعتداءات غوستاف لوبون على شخص الرسول صلى الله عليه وسلم والسيرة النبوية:

من بين الافتراءات والمغاليط التي وقع فيها غوستاف لوبون واعتدائه على شخص النبي صلى الله عليه وسلم قائلا عنه:

1) يقول الدكتور لوبون عن نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم: حقا ان من اعاجيب التاريخ ان يلبي نداء ذلك المتهوس الشهير شعب جامح شديدة الشكيمة لم يقدر على قهره فاتح.

⟸ هنا غوستاف لوبون عد محمد صلى الله عليه وسلم من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كأكثر مؤسسي الديانات ويستعمل الدكتور لوبون كلمات كنا نتمنى ليبقى في مكانه المنصف بعيدا عن استعمالها: من ذلك كلمة الهوس خصوصا عند التكلم عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه الكلمة تقال لمن تدور في نفسه وافكاره أمور غير واضحة...

2) ثم يستمر لوبون متحدثا عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ليصل إلى اواخر حياته صلى الله عليه وسلم وما جرى آنذاك من أحداث جسام متمثلة بظهور دعاة النبوة الكاذبين أمثال مسيلمة الكذاب والأسود العنسي، فوجه غوستاف لوبون هذه المرة اعتداءه السافر وبكل

[1] شوقي ابو خليل، مرجع سابق، ص 125.

وقاحة بحق رسولنا عندما شبهه بهؤلاء الكذابين فقال بحق الرسول صلى الله عليه وسلم: وكانت هناك أخطار اخرى تهدد بخنق عمل محمد في مهده، فقد ظهر متهوسون كثيرون هزهم ما ناله محمد من التوفيق فرأوا أن يدعوا النبوة أيضا، فاستطاع أحدهم ان يجعل سكان نصف اليمن من اتباعه... واقتصر متهوس آخر على إضافة بعض السور إلى القرآن.

⟵ إذا نلاحظ مما تقدم من اعتداءات تفوه بها لوبون حقيقة هذا المستشرق وهاهي نظرته تجاه رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فانه وصف النبي بالمتهوس. أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فما عرف في حياته قبل البعثة وبعدها إلا الإتزان وحسن التفكير، وبعد النظر، ثم جاءه الوحي السماوي، فقام بتادية رسالته كما أرادها الله عز وجل أن تؤدي فهل يصح أن يليق بمستشرق وصفه بعض المعاصرين بالمنصف أن يكتب عن الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم صاحب الاثر العميق في أمته والبشرية جمعاء أو يشبه الرسول صلى الله عليه وسلم مع أناس دفعتهم انانيتهم وعصبيتهم ومطامعهم إلى ادعاء النبوة الكاذبة، ولكن هذا حال المستشرقين كلهم فإنهم اذا ما تحدثوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم كأنهم يتحدثون عن بطل مصلح أو قائد فاتح مبدع موهوب متغافلين الوحي والنبوة.

3) يقول لوبون: "**ولا تفضل مكة على المدن العربية الأخرى بغير نظامها الكبير. صفحة. ويقع المعبد الصغير (الكعبة)، في باحة الحرم المكي** ".

" **ولا نعلم نصبا كرمه الناس زمنا طويلا كالحجر الاسود. صفحة**".[1]

⟵ **أولا:** عالم كبير تستغرب ان يقع بهذا الخطأ والتصوير الخاطئ، لوضع مكة فلا يرى بأنها تفضل غيرها من المدن العربية بغير نظامها الكبير، وربما كان سبب ذلك انه بعيد عن حياة مكة الدينية ومكانتها بين العرب حتى قبل الإسلام، فنسي أنها تفضل اي مدينة أخرى بما عرفته منذ نشأتها من قيام اول بيت وضع للناس لعبادة الله، وقد قتم ابراهيم وإسماعيل

---

[1] غوستاف لوبون، مرجع سابق، ص 69 70 71.

قواعد بين الله الحرام الكعبة– المشرفة فبيقين ومانتزال عبر تاريخها الطويل مركزا لعبادة الواحد اس مركز للتوحيد ثم اصبحت قبلة للمسلمين.

ثانيا: الحجر الأسود ليس نصبا كما تصوره لوبون.

النصب: هو مل ما عبد من دون الله تعالى، والجمع أصاب، والنصب: الآلهة التي كانت تعبد من الأحجار، والانصاب: حجارة كانت حول الكعبة تنصب فَيُهَلُّ عليها.

ومن المعروف ان العرب اتخذوا آلهتهم في الجاهلية من أشياء لا تحصى، ومع ذلك لم يروا مطلقا ان الحجر الأسود كان من آلهتهم، بل كانت له مكانة خاصة محترمة، لأنه من بقايا إبراهيم عليه السلام.

فالحجر الاسود، حجر عادي يختلف بلونه عن بقية حجارة الكعبة أسس كمركز لبداية الطواف بالكعبة، واعتبر مركزا لتنظيم الطواف، وبقي الحجر الوحيد الذي لا يتغير مكانه، فاستلام الحجر الاسود في الحج لا يرجع إلى تقديس الحجر ذاته انما يرجع إلى اعتبار رمزي تاريخي.

ثالثا: ليست الكعبة معبدا، وانما هي بناء حجري وسط الحرم وهو بيت الله الحرام ولم تكن الكعبة الا مركزا لذلك المعبد، يرمز إلى وحدانية الله يطوف بها المؤمنون لا عبادة لها، ولا تقديس لها لحجارتها [1].

4) وكان من دواعي الفخر عند العرب تزيين الكعبة التي كان اليهود شديدي التعظيم لها أيضا[2].

⟵ لا ندري من اي المصادر اقتبس مؤرخنا غوستاف لوبون خبر تعظيم اليهود للكعبة، وما عرفنا مطلقا في تاريخ اليهود وتاريخ الكعبة صلة، أما ان كان لوبون يشير بقوله: التي

---

[1] شوقي ابو خليل، مرجع سابق، ص 65.

[2] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 125.

– ويذكر غوستاف لوبون في الصفحة ذاتها [صفحة 124]، ان ابراهيم ذبح اسحاق، والصواب اسماعيل كما جاء في القران، الذي ثبت علميا ان كل ما فيها حداث وظواهر حقيقية لا يدنو منها شك أو ريب مطلق.

كان اليهود شديدي التعظيم لها أيضا، إلى جمع من رجالتهم منهم سيتهم حينبي بن أخطب النضري، وعظيمهم سلام ابن مشكم، ورئيسهم كنانة بن ابي الحقيق، وهوذة بن قيس الوائلي... حين قدموا مكة على قريش، انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقال أبو سفيان: مرحبا أهلا وأحب الناس إلينا من اعاننا على عداوة محمد، فقال: لكن لا نأمنكم الا ان سجدتم لألهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا[1].

اذا كان لوبون يشير إلى هذه الحادثة فقد أخطأ الدلالة فالحادثة تدب على سجود وفد اليهود، وهذا يخالف عقيدتهم كليا، لا اعتقادا بها ولا تعظيما للكعبة حيث هذه الأصنام بل حقدا على الإسلام وأهله ورجاء أن يحققوا ما جاءوا لأجله، ألا وهو تأليب قريش والقبائل العربية على النبي صلى الله عليه وسلم.

5) يقول لوبون: "**والحق ان وقت جمع العرب على دين واحد كان قد حان، وهذا ما عرفه محمد، وفي الوجه الذي عرفه فيه سر قوته، وهو الذي لم يفكر في إقامة دين جديد خلافا لما يقال أحيانا، وهو الذي انبأ الناس بأن الإله الواحد هو اله باني الكعبة اي اله إبراهيم، الذي كان العرب يجلونه ويعظمونه.**

وعلائم اتجاه العرب أيام ظهور محمد إلى الوحدة السياسية والدينية كثيرة، فما حدث من الثور بالاوثان في عهد قياصرة الروم، حدث مثله في بلاد العرب حيث ضعفت المعتقدات القديمة، وفقدت الأصنام نفوذها ودب الهرم على آلهتها، والآلهة مما يجب أن يهرم"[2].

---

[1] شوقي ابو خليل ، مرجع سابق، ص 66.

[2] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 124.

⟵ إن سر قوة محمد صلى الله عليه وسلم في معرفته بأن وقت جمع العرب على دين واحد كان قد حان، وانما سر قوته في ايمانه بما اوحي اليه مستمدا تلك القوة من الله، الذي امتلأ قلب محمد صلى الله عليه وسلم ايمانا به[1] وتسليما لارادته وتنفيذا لتعاليمها.

أما ما يذكره لوبون، من ان العرب اتجهوا قبل ظهور محمد صلى الله عليه وسلم إلى الوحدة السياسية والدينية، وثورة منهم على الأوثان، وان الأصنام فقدت نفوذها، فربما كان العكس هو الأصح فقد كان العرب في حال من التجزئة السياسية والقبلية يندل مثيلها، كما كانت الكثرة منهم تمسك بأصنامهم واوثانهم ومن كان شيء من الوعي قال عنها: ﴿**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ**﴾[2].

فأين لمس لوبون بوادر الوحدة السياسية والدينية؟ وأين رأى أو قرأ بوادر الكفر بالأصنام والأوثان لدى عامة عرب الجزيرة، وقد قامت قريش والقبائل معها تقاتل محمد صلى الله عليه وسلم لكل قواها، وبكل ما يمكن من تعبئة حشده، لأنه سفه أحلامهم التي تعبر اصناما، وتركع أمام أنصاب وتضرع للأوثان؟.

لقد وصل الأمر ببعض قبائلهم إلى الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودعوته الجديدة على أن يترك لهم صنما يعبدونه، أو وثنا يقدسونه[3].

6) "ولم يخبرنا التاريخ عن مسيرة محمد من السنوات الخمس العشرة، التي انقضت بعد زواجه بخديجة، ويفترض، وإن لم يقم دليل على ذلك أنه كان يفكر في أثنائها في مبادئ دينه الذي سيكون زعيمه، ولم يبدي منه في تلك السنوات أي نفور من عبادات العرب مع ذلك، كما أنه لم يبقى فيها ما يدل على تفكيره في قلب تلك العبادات رأسا على عقب [4].

[1] بوزقاو مريم، مرجع سابق ص 75.

[2] سورة الزمر الاية 39.

[3] شوقي ابو خليل، مرجع سابق، ص 69.

[4] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 131.

إن تناقضا واضحا وقع به لوبون في المقطع السابق، حيث يقول: ان محمد صلى الله عليه وسلم كان يفكر في أثنائها، أثناء السنوات الخمس عشرة التي انقضت بعج زواجه من خديجة، في مبادي دينه الذي سيكون زعيمه، ثم يقول. انه لم يقم فيما يدل على تفكير في قلب تلك العبادات رأسا على عقب.

فإن افترضنا قبل ما يقول، فكيف يفكر محمد صلى الله عليه وسلم في إقامة دين على أسس الوحدانية، وعدم الشرك بالله تعالى، ثم تقبل أن هذا التفكير لا يقلب عبادات مجتمعة رأسا على عقب، فالوحدانية لله الخالق العظيم لا تتفق أبدا مع عبادة الأصنام والأوثان، التي كان عليها عرب قبل الإسلام.

وليس صحيحا أن الأخبار عن السيرة محمد صلى الله عليه وسلم في السنوات الخمس عشرة التي انقض بعد زواجه من خديجة غير متوفرة، فلو عاد لوبون إلى المصادر التي أخذ منها أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم قبل هذه الفترة وبعدها لوجد فيها أخباره صلى الله عليه وسلم دون انقطاع.

وكان على لوبون أن لا ينسى ان النبي صلى الله عليه وسلم بعد زواجه من خريجة، تهيأ من مالها ما جعله أكثر تفزعا للتحنث في غار حراء، بعيدا عن صخب مكة الصاخبة دينيا وتجاريا، وفي غار حراء كانت العناية الالهية تهيئ محمد صلى الله عليه وسلم لحمل رسالة السماء إلى الناس كافة، كما حمل قبله موسى عليه السلام وعسى عليه السلام رساله السماء إلى قومهما، فهل نقول إن العناية والقدرة الإلهية تجلت لموسى وعسى عليها السماء، ونؤمن بذلك، ثم ترقص ما يشبه بذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم؟[1].

7) " كان محمد يقابل ضروب الأذى والتعذيب بالصبر وسعة الصدر، وكان يجتذب ببلاغته في كل يوم أصحابا أخرين"[2].

---

[1] شوقي ابو خليل، مرجع سابق، ص 78.

[2] غوستاف لوبون، مرجع سابق، ص 133.

⟵ لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم يجتذب ببلاغته الناس، بل كان يجتذب ببلاغة القرآن الكريم، وسريان القران الكريم وفصاحة آياته وروعتها، ولو كان الامر (با ذات ببلاغة البشر) لقدر عليه الكثير من فصاحة العرب وخطابهم، لكن التحدي جاء من قبل لا يستطيع أحد من مخلوقاته أن يقف امام تحديه، إنه الله قيوم السموات والأرض، الذي بعث محمد بالحق، وأنطقه بآيات القرآن الكريم، فكان وما يزال المعجزة الخالدة لنبوة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

وإن بلاغته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة؟ ولماذا لم يجتذب بها أهل مكة[1]؟.

8) "اغتنم محمد موسم الحج فدعا إلى دينه أناسا من اليمن كانوا ينظرون إلى مكة أيضا..."[2].

⟵ نعم كان محمد صلى الله عليه وسلم يغتنم مواسم الحج لدعوة الناس إلى دينه والايمان بنبوته والتسليم بوجود إله واحد لا إله غيره، وكان يدعو إلى ذلك كل من يصادفه من حجاج جزيرة العرب، الذين يقصدون مكة من أهل مكة أو من غيرهم، لكن الذين لقيهم فاستهواهم حديثه لم يكونوا أناسا اليمن، إنما هم من أهل يثرب، الذي تعود أصولها البعيدة إلى اليمن، الا أنهم كانوا في تلك الفترة من قبائل يثرب اي من الأوس والخزرج.

نعم لقد وقف العرب في موسم الحج ودعاهم إلى الإسلام وعرض نفسه على الكل القادم إلى مكة، يتصدى له ويدعوا إلى الله تعالى.

وتساءل لماذا لم يجد لوبون سببا لإقبال أهل يثرب على اعتناق الإسلام، الا غيرتهم من مكة؟ الا يمكن الرد عليه بأن هذا السبب وحده كان يومئذ كافيا لعدم ايمانهم بمحمد

---

[1] شوقي ابو خليل، مرجع سابق، ص 80.

[2] غوستاف لوبون، مرجع سابق، ص 134.

صلى الله عليه وسلم، لما كان للعصبية القبلية من آثار عميقة في نفوسهم، فكيف يقبلون ان يزعموا ويملكوا عليهم رجلا من قبيلة يحقدون عليها، ويغارون منها؟[1].

09) " توالت الوقائع بين محمد وجيرانه وكانت كل مصيبة تصيبه يعقبها انتصار له في الغالب، كان يبدو رابط الجأش اذا ما هزم، ومعتدلا اذا ما نصر، وهو لم يقس على اعدائه الا مرة واحدة، حين أمر بأن يضرب رقاب سبع مئة يهودي خانوه"[2].

⟵ من أين أتى لوبون بهذا الحكم: وكانت كل مصيبة تصيبه يعقبها انتصار له في الغالب، فهل كانت الأمور مرتبة إلى هذا الحد؟.

لقد عدت بذاكرتي إلى أحداث السيرة الشريفة، فلم أجد أثر لهذا الحكم الذي يشوه الحقائق ولا يسيئ، إن صح إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم نجد غير هزيمة المسلمين في غزوة أحد اذا اعتبرتاها هزيمة (مصيبة)، وكل ما عدها نجاح وانتصار نتيجة لسياسة كان محمد صلى الله عليه وسلم يشرف على وضع خطوطها، وتنفيذ مراحلها ترافقه العناية الالهية تؤكد صدق نبوته، ولو استعرضنا غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، ومواقفه المهمة ابتداءا من غزوة بدر الكبرى حتى غزوة تبوك، لما وجدنا الا سلسلة من الانتصارات تتلاحق.

أما قول لوبون بأن محمد صلى الله عليه وسلم لم يفز على اعدائه الا مرة واحدة حين أمر بقتل سبع مئة يهودي خانوه، ويقصد بهم يهود بني قريضة فهو قول مرفوض، فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن قاسيا حتى في موقفه هذا، وغزوة بنو قريضة قصاص عادل لخيانة علنية، مع نقض معاهدة تعهدوا بموجبها دعم المسلمين، اذا داهمهم عدو فانحازوا بجانبه، فقصاص بني قريضة رسول الله والمسلمين، لما هذا الحصار؟ ولماذا هذه الحرب؟ وبالتالي لماذا هذا القصاص وهذا العقاب.

---

[1] شوقي ابو خليل، مرجع سابق، ص ص 82 83.

[2] غوستاف لوبون، مرجع سابق، ص 135.

والجواب على هذا التساؤل هو عبارة واحدة موجزة قصيرة أنهم ادرى بما صنعوا، فأي قسوة يتحدث عنها لوبون؟[1].

10) "عظم شأن محمد في عدة سنوات، وأصبح لا بد له من فتح مكة حتى يعم نفوذه، فرأى ان يفاوض قبل امتشاق الحسام وصولا إلى هذا الغرض، فجاء إلى البلد المقدس ومعه ألف واربعة من أصحابه، فلم يكتب له دخوله "[2].

⟵ النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لا يسعى إلى مد نفوذه وليس غرضه أن يكون له نفوذ شخصي، ولو عدنا إلى الحوادث التاريخية التي سبقت فتح مكة، لتأكد لنا ذلك بوضوح فالفتح بالقوة، واستعمال السلاح كان آخرها يلجأ إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعودة بنا إلى صلح الحديبية، ودراسة بنوده توضح لنا ذلك، كما تثبت لنا حكمة محمد صلى الله عليه وسلم، ونجاح سياسته القائمة على فتح القلوب قبل فتح الحصون والأسوار والمدن[3].

11) " رأى محند بعد ذلك الاخفاق ان يروح أصحابه فخفا بهم إلى مدينة خيبر المحصنة المهمة الواقعة في شمال المدينة الغربي والبعيدة منها مسيرة خمسة أيام والتي كان يقطن فيها قبائل اليهود، والتي كانت مقر تجارة اليهود، ففتحها عنوة "[4].

⟵ ما كنت نظن ان الدكتور لوبون يعالج دراسة الحوادث التاريخية بمثل هذه البساطة، ومجانبة الحق.

اولا: السؤال المطروح: ماذا يقصد لوبون بجملة " ورأى محمد ذلك الاخفاق.."، اي إخفاق يقصد؟، أهو عودته من الحديبية مع أصحابه دون تأدية العمرة؟.

ويعتبر لوبون غزو اليهود خيبر نزهة أراد بها محمد صلى الله عليه وسلم ان يزوح بها عن أصحابه، فأين غاب الإنصاف عنه في هذه المسألة، وهل كان الرسول العظيم صلى الله

---

[1] شوقي ابو خليل، مرجع سابق، ص ص 85.

[2] غوستاف لوبون، مرجع سابق، ص 135.

[3] شوقي ابو خليل، مرجع سابق، ص 88.

[4] غوستاف لوبون، مرجع سابق، ص 136.

عليه وسلم يتسلى مع أصحابه في جزيرة العرب؟، ويغزو ليروح عن أصحابه؟، هل تناسى لوبون مواقف اليهود في الحجاز من النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته؟ وهل غاب عنهم مواقفهم بعد بدر الكبرى وأحد والخندق؟.

انا جعل وفد اليهود برئاسة حفي بن أخطب لفظان، تحريضا على الخروج نصف تمر خيبر كل عام؟ فجمع اليهود الأحزاب حول المدينة لاستعمال اليهود وأهله؟، وهل نسمي حربهم ورد خطرهم وانهاء تآمرهم ترويحا عن النفس؟.

"ولم أحس محمد نمو سلطانه عزم على فتح مكة، فألف جيشا من عشرة ألاف محارب، مما لم يسبق له أن جمع مثله فبلغ أسوارها، ففتح به مكة من غير قتال بقوة ما تم له النفوذ[1]. صفحة"[2].

⟸ عاد لوبون إلى استعمال عبارة " وما أحس محمد نمو سلطانه، عزم على فتح مكة"، ولم يذكر سبب فتح مكة الحقيقي، لقد خرقت قريش بنود الحديبية وانتهكت أهم بند فيه: وضع العرب على الناس عشر سنين يامن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض.

وهل يتصور على مؤرخ منصف كما وصفه المؤرخون المعاصرين مهما كانت عقيدته ان تنتهك قريش بنود صلح الحديبية، ويتركها صلى الله عليه وسلم على تطاولها وغرورها؟[3].

ونعود إلى ما قاله لوبون لنقول: ما كان لنبي أرسله الله بالهدى ودين الحق ان يمد نفوذه أو سلطانه أو ما شابه ذلك من السطوة الشخصية أو الزعامة الدنيوية ان محمد صلى الله عليه وسلم يريد ولا شك أن يقضي على الوثنية أينما وجدت فكيف وهي في بيت الله الحرام، فمن الطبيعي أن يفكر محمد صلى الله عليه وسلم بفتح قلوب القريشيين بالإسلام، لا لمد نفوذه وسلطانه الشخصي بل تحطيم أكبر معقل من معاقل الوثنية في جزيرة العرب، وليعيد إلى

---

[1] شوقي ابو خليل، مرجع سابق، ص 90.

[2] غوستاف لوبون، مرجع سابق، ص 137.

[3] شوقي ابو خليل، مرجع سابق، ص 31.

البيت العتيق كلمة التوحيد لا تشوهها عبادة الأصنام والأوثان وصورة فتح مكة لا تسمح بكلمتي "سلطانه" "ونفوذه" ولو أن محمد صلى الله عليه وسلم أراد النفوذ والسلطان لتحقق له ما أراد قبل الهجرة بسنوات، وعندما قدم إليه صلى الله عليه وسلم من قبل زعماء قريش، فرفضه ورفض الجاه والمال، لأنه يصدع بأمر الله، ويحمل رسالة إلى الناس[1].

أما عبارة " فبلغ أسوارها " فنعتقد ان جميع المؤرخين يعلمون بأن مكة لا أسوار لها.

13) " بعد فتح مكة جعل محمد صلى الله عليه وسلم " الكعبة معبدا اسلاميا"[2].

⟵ كان الصواب أن يقول لوبون اعاد محمد صلى الله عليه وسلم الكعبة بعد فتح مكة إلى ما كانت عليه حين أقام بنايتها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

أي رمز لعبادة الله الواحد، يطوف الناس بها لا عبادتها بل عبادة الله عز وجل، والكعبة ليست معبدا وانما هي بناء اقيم في البيت الحرام، قبلة يتوجه اليها الناس[3].

14) "ويقال ان محمدا كان قليل التعليم وترجع ذلك والا وجدت في تأليف القرآن ترتيبا أكثر مما فيه، وترجح أيضا أن محمدا لو كان عالما أقام دينا جديدا، فالأميون وحدهم هو الذين يعرفون كيف يدرك امر الاميين"[4].

⟵ والتساؤل: متى كان الأنبياء يؤلفون الكتب ويرتبون الآيات؟.

وهل فعل الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم ذلك حتى يقول لوبون مثل هذا القول؟.

وما دام مفكر كبير وفيلسوف مثل لوبون يرجح ان محمد صلى الله عليه وسلم قليل التعليم، فهل يأتي رجل قليل العلم بكتاب فيه من التشريعات الاخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ناهيك عن التشريعات الدينية الروحية، بمثل ما في القرآن الكريم؟، ثم

---

1 غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 137.

2 شوقي ابو خليل، مرجع سابق، ص 93.

3 شوقي ابو خليل، مرجع سابق، ص 93.

4 غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 141.

يقول أنه من عند محمد !! كيف يستطيع اي رجل ولو كان كثير العلم في مثال تلك الظروف، وفي ذلك الوقت من التاريخ، أن يأتي بمثل ذلك الكتاب الذي ما يزال معجزة الإسلام الباقية حتى اليوم؟، وهل أصبح المؤرخون هم الحكم في أمر ترتيب كتاب الله، حتى يحكموا على دقة ترتيبه، وهل يصح قول لوبون بأن محمد لو كان عالما ما أقام دينا جديدا؟، فهل إقامته للدين تعود إلى علمه أو عدمه؟[1].

نعم، إن محمد صلى الله عليه وسلم أمي، لكنه جاء بما يعجز عنه العلماء، وبما يفتح أمام عقول العلماء آفاق البحث والتفكير فكان بما جاء به معجزة الدهر.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ، قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[2].

ومن الاعتداءات الاخرى التي وجهها غوستاف لوبون والمستشرقين معه ضد الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم تعدوا على آل بيته الطاهرين ومنهم زوجاتهم أمهات المسلمين رضي الله عنهم أجمعين، فقد حاول كثير من المستشرقين أن يصوروا النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان أسيرا لشهواته، وليس له هم الا اروائها واشباعها بالطرق الشرعية أو غير شرعية على حد زعمهم، فقد قال غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب "**وضعف محمد الوحيد هو حبه للنساء" ثم كرر نفس الاعتداء في موضع آخر قائلا "وكان محمد قليل المسامحة للنساء مع ضعفه نحوهن وافراءه اللاذع على النبي صلى الله عليه وسلم، وجسده بقوله: ولم يبال محمد بسن المرأة التي كان يتزوجها"، فتزوج عائشة وهي بنت عشر سنوات وتزوج ميمونة وهي في السن الحادية والخمسين من عمرها" وبقوله أيضا: واطلق محمد العنان لذلك الحب، حتى أنه رأى اتفاقا زوجة ابنه بالتبني عارية فوقع في قلبه شيئ**

---

[1] شوقي ابو خليل، مرجع سابق، ص 97..

[2] سورة العنكبوت، الاية 50 52.

فسرحها بعلها ذلك ليتزوجها محمد، فاغتنم المسلمون فأوحي إلا محمد بواسطة جبريل الذي كان يتصل به يوميا، آيات تسوغ ذلك، فانقلب الانتقاد إلى سكوت.[1].

ومع أن العلامة لوبون يقول في الصفحة ذاتها "**الشرقيون لا يرون افراطا في ذلك وقع في اغلاط كثيرة في عبارته وآرائه السابقة، ولو أنصف لقام بدراسة موضوعية صلى الله عليه وسلم، في شبابه وقبل زواجه فهل كل هذه الأقاويل من غوستاف (المنصف)، التي نالت من شخص رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم.**

ومن الشبهات الاخرى التي روج إليها المستشرقين وعلى رأسهم غوستاف لوبون بخصوص آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وخصوصا زوجاته رضي الله عنهم، ومنهم السيدة عائشة رضي الله عنها التي كانت لها الحصة الأكبر من هذه الافتراءات، حيث قال غوستاف لوبون " ولم يثبت تماما وفاء زوجات محمد الكامل له، ويظهر أن محمد لاقي من المكاره الزوجية ما يندر وجوده عند الشرقيين، ويكثر وقوعه عند الغربيين، وكانت عائشة على الخصوص موضوع قلق له، وأصبحت ذات مرة موضع قلة السوء".

فشهد جبريل المحب للخير على الدوام بعصمتها فدونت شهادته في هذه المسألة الحساسة في القرآن فحضر الشك.

نستغرب هذا التشكيك بوفاء زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، اذ لم يرد أي مصدر من مصادر تاريخ العرب والإسلام، وكتب السيرة أيضا مثل هذا القول، بل ورد الكثير مما يتنافى مع قوله ويعارضه، ولا ندري من أين أتى لوبون بأخبار المكاره الزوجية لمحمد صلى الله عليه وسلم وموضوع قلق محمد صلى الله عليه وسلم من زوجته عائشة، ولكن الجهل وفرضية التعصب التي أوصل الفيلسوف لوبون في هذا الرأي، كما قال لوبون: "**وكان محمد**

---

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 142.

قليل المسامحة للنساء مع ضعفه نحوهن، وهو مع أنه يبلغ في شدته درجة رجال التوراة، وصفهن القرآن بانهن ينشأن في الحيلة، ويخاصمن من غير سبب"[1].

ماذا يريد لوبون من قوله بأن محمد صلى الله عليه وسلم قليل المسامحة نحو النساء؟.

هل كان صلى الله عليه وسلم متساهل معهن غير متساهل مع الرجال، مع ضعف نحوهن؟.

ما كان محمد صلى الله عليه وسلم متساهلا أو متشددا لا مع الرجال ومع النساء، إنه كان نبيا يتخلق بأخلاق الأنبياء وينفذ في تعاليمه مع هؤلاء واولئك إرادة الله وتشريعه، الذي بعثه به لا يتم مكارم الأخلاق.

أما عبارة لوبون " مع انه لم يبلغ في شدته درجة رجال التوراة" فهي مرفوضة قطعا، فلا وجه مقارنة، أو تشابه هنا مطلقا، فالمرأة في التوراة غيرها كليا في القرآن الكريم[2].

---

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 143.

[2] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 143.

المبحث الثاني: نماذج من تجنيات غوستاف لوبون في تناول تاريخ الغرب الاسلامي.

المطلب الأول: تجنيات في تناول تاريخ افريقيا الشمالية (المغرب الإسلامي).

1) "ولم يكن العربي الجزائري غير مولد بالحقيقة12 ونرى فيه أحد صفات المولدين، وحضريو العرب من سكان من الجزائر نتيجة تمازح تلك الأمم، وقد حطتهم سيطرة الأجنبي المتتابعة واعرابهم متمردين على كل قطر وهم أقل تمارجا وانحطاطا من حضري العرب" [1].

⟵ وهنا نجد غوستاف لوبون له تهجم صريح على الشخص الجزائري ذو الأصل العربي، هناك من ينسبهم أنهم (امازيغ)، وكلمة (امازيغ) هي التسمية القديمة لسكان المغرب، وكلمة البربر هي داخلية اصلها من غلب على شعوب هذه المنطقة من الأمم مثل الاغريق والرومان والعرب.

وقد أكد (ابن خلدون)، ان سكان المغرب هم البربر بقوله: هذا الجيل الأدمي هم سكان المغرب القديم ملأوا البسائط والجبال من تلوله وارياقه وضواحيه وامصاره، يتخذون البيوت من الحجارة والطين، ومن الخوض والشجر ومن الشعر.

أما أصل القبائل البربر فهي قبائل عربية هاجرت من الجزيرة العربية في عصور موغلة في القدم، ثم اعقبت ذلك هجرات أخرى من بلاد الشام ومصر استقرت في اقاليم المغرب المختلفة وعند (ابن خلدون)، ان علماء النسب متفقون على ان البربر يجمعها جدان عظيمان وهما برنس ومادغيسن ويلقب مادغيسن بالابتر فلذلك يقال لشعوبه بالبتر[2]، ويقال لشعوب البرانس ويختلف النسابون هل هما لأب واحد؟، منهم من ينسبهم إلى أب واحد ومنهم من يعارض ذلك.

---

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 85.

[2] الصديق بودوارة المغربي، الاصول الاولى لسكان المغرب القديم...بين روايات ابن خلدون وحقائق ماقبل التاريخ، جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الاسلامية.

وخلاصة القول فان الحفريات قد كشفت عن جماجم بشرية وجدت في ليبيا والجزائر واليمن وفلسطين في تطابق كامل، ويقدر عمر تلك الجماجم بأكثر من خمسين ألف سنة، مما يدل أن سكان المغرب هم من أصل عربي، كما اثبتت الحفريات وجود علاقة قوية بين انسان العصر الحجري القديم في المغرب، وبين انسان الوطن العربي في المشرق.

أما المؤرخون العرب والبربر المحدثين الذين لهم عناية بأنساب البربر واحوالهم فانهم يرجعون نسب البربر إلى أصول عربية سامية.

2) " ويضحي الجزائري، الذي نصفه بالخلي المتمرد المكسال القانع الوضيع المتزيد بماله ونفسه، ويشترك في كل عصيان وتمرد، للخلاص من حكم الاجنبي الذي فتح بلاده"[1].

⬅ بعض الاوضاع التي وصف بها الجزائريين شنيعة وحاقدة بحيث أنه وصفه بالمتكاسل الوضيع وعندما نرى الإنتاج الفكري لعلماء مدينة الجزائر (جزائر بني مزغنة)، مثلا في مجال العلوم النقلية والعقلية خلال العصر الاسلامي الوسيط نرى أن نخبة من علماء مدينة الجزائر واحوازها من أمثال أبي عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي القلعي والشيخ الإمام ابي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر العطار الجزائري وعبد الرحمان الثعالبي واحمد بن عبد الله الجزائري الزواوي وغيرهم من علماء الذين انجبتهم المدينة، وقد بذلوا جهودا كبيرة في ميدان التأليف والتصنيف، وقد افرزت تلك الجهود رصيدا ثقافيا وعلميا وفكريا غزيرا، وهذا انعكس بالإيجاب على الانتاج المعرفي والحياة الثقافية للمدينة واحوازها في العصر الاسلامي الوسيط وهناك العديد من المساهمات في مختلف مجالات العلوم، فقد بذلوا...[2].

---

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص85.

[2] قريشان عبد القادر، الانتاج المعرفي لعلماء مدينة الجزائر (جزائر بني مزغنة)، مقال: في مجال العلوم النقلية خلال العصر الاسلامي الوسيط، دراسة تحليلية.

3) "نقصد بإفريقية الشمالية البلاد التي تشمل على مراكش والجزائر وتونس وطرابلس الغرب"[1].

⬅ في سياق حديثه عن الدول القطرية المشكلة لبلدان المغارب اغفل الحديث عن الصحراء الغربية وموريتانيا كونهما جزء من بلاد المغرب.

فالشمال الافريقي فمعالمه الحدودية واضحة حيث انه يشمل ست الدول المعروفة الآن بدول المغرب العربي وهي ليبيا، تونس، الجزائر المغرب، وموريتانيا، والصحراء الغربية.

وينص على ذلك الدكتور سعد زغلول يقوله: بلاد المغرب مصطلح يقصد بها الكتاب العرب كل الأقاليم الواقعة غرب مصر والتي تشمل قارة افريقيا، والجزائر بصحرائها المترامية إلى تخوم السودان واخيرا المغرب الذي كان يعرف إلى عهد قريب باسم مراكش نسبة إلى عاصمته الجنوبية وتمتد طبيعتها نحو الجنوب إلى تخوم السنغال والنيجر.

الموقع والحدود: فقد كان مدلول كلمة المغرب يتسع تارة عند الجغرافيين العرب فيدل على جميع الاراضي الواقعة بين البحر الأحمر شرقا والمحيط الاطلسي غربا وكذلك الأراضي الاسلامية الاخرى بالاندلس وجزر الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وتارة أخرى كان يضيق فلا يشمل الا الأراضي الممتدة من الميل الغربي، أما العرف الجاري بين المغاربة فلا يدخل في المغرب أراضي مصر ولا أراضي برقة، وإنما يخصه بإقليم طرابلس وما يقع غربه من اقاليم، وهي الأراضي التي كانت للبربر موطنا ودار للإسلام، وتحتل بلاد المغرب موقعا ممتازا في شمال افريقيا والحوض الغربي للبحر المتوسط، وتتحكم في طرف المواصلات الوسطى والغربية لهذا البحر[2].

واذا القى الانسان نظرة على مسطح الأرض كما يحدده العرف المغربي من خريطة القارة الافريقية يجده يشتمل على أراضي شاملة متباعدة الأطراف تبلغ المسافة بين طرفيها

---

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص255.

[2] علي محمد الصلابي، الفتح الاسلامي، في الشمال الافريقي، مؤسسة اقرا للنشر والتوزيع،2007، ص 9.

الشمالي والشرقي أكثر من 2000 كلم، وبين طرفيها الشرقي والغربي أكثر من 3000 كلم، فالمغرب يحيط به الماء من الشمال والغرب وجزء من الشرق، والصحراء من الجنوب وجزء آخر من الشرق، فالحدود الذي تظم داخلها جميع أقطاره حدود طبيعية: المحيط الأطلسي من الجهة الغربية والبحر المتوسط من الجهة الشمالية، والخط الفاصل بين ولايتي طرابلس وفزان وبين ولاية برقة النازل من الخليج سرت إلى الجنوب من الجهة الشرقية اما الجهة الجنوبية فالجغرافيون والمؤرخون القدامى والمحدثون وفي مقدمتهم العلامة ابن خلدون، يجعلون للمغرب حدين اقصى وأدنى.

فالأقصى هو الرمال المتهللة الفاصلة بين المغرب والسودان والمعروفة عند البداة بالعرق، ويبدأ العرق من المحيط الأطلسي ذاهبا على جهت واحدة إلى جهة الشرق حتى يعترضه نهر النيل فينقطع وتعترضه بين الحين والحين أراضي متحجرة تدعى الواحدة منها حمادة: ومن أشهر العروق واكبرها عرق ايكيدي وعرق شيش والعرق الغربي الكبير [1].

4) "ولا يتكلم احد بالبربرية في غير الجبال أو البقاع البعيدة جدا من المدن"[2].

⟸ ينتشر الأمازيغ في شمال أفريقية، وهناك العديد من المدن تتكلم الأمازيغية فينتشرون في شمال البلاد والأرياف وجبال الأطلس بالنسبة للمغرب وفي تونس جربة وتطاوين وشرق قفصة، وليبيا وينتشرون في جبل نافوسة زواوة.

وفي الجزائر في منطقة القبائل وشرق البلاد وشمال الصحراء الكبرى مثل تيزي وزو والبويرة وبجاية، ومنطقة الأوراس خنشلة وباتنة وتبسة وكذلك تمنراست وغرداية. اي أن الأمازيغ يشكلون جزءا مهما من الجسم المجتمعي في الجزائر، يعدون السكان الأصليين

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 258.

[2] علي محمد الصلابي، مصدر سابق، ص 10.

للبلاد ولدول شمال أفريقيا قبل الفتح الإسلامي، وهم الشعب الذي اقبل على الاسلام واستقبل الفاتحين وساعدهم على فتح مناطق أخرى بالاندلس[1].

5) "مقاومة الملكة البربرية الكاهنة التي الفت بين كثير من قبائل البربر وتسلمت القيادة، وقاتلت العرب وكتب لها النصر في المعركة الأولى وهزمت العرب، واستولت على جميع شمال أفريقيا".

⟸ لم تسيطر على كل شمال أفريقيا بل أجزاء منه فقط، فديهيا قامت بعدة حملات ومعارك ضد الرومان والعرب والبيزنطيين، لاستعادة السيطرة على مملكتها في أواخر القرن السادس وهنا اشتهرت عند المسلمين، وأصبحت رمزا للشجاعة والتضحية والذكاء بالنسبة لهم، واستعادت معظم أراضي مملكتها بعد ان هزمت الرومان، وتمكنت من توحيد القبائل البربرية، وخلال زحف المسلمين الفاتحين استطاعت ديهيا ان تهزم جيش القائد حسان بن النعمان، وطاردتهم واخرجتهم من تونس الحالية وطرابلس إلى منطقة تسمى اليوم بقصور حسان في سرت وانتمى حسان إلى برقة وقد سمعت بتقدم جيش حسان حتى بادرت بتحرير مدينة خنشلة من الاحتلال الروماني وهدمت حصونها لكي لا يحتمي بها حسان، وكذلك قادت معركة بوادي مسكيانة وانتهت بتراجع حسان وبعد تراجعه إلى برقة سيطرت ديهيا على المغرب، تراجعت سيطرة الكاهنة ديهيا على شمال أفريقيا وتشكل مملكتها المغرب الأدنى والأوسط اي جزء من الجزائر وتونس وليبيا والمغرب[2].

6) " كان مصير شعب هذه السيدة التي القت الرعب في قلوب العرب والروم يكون غير ما حدث لو لم تقتل في إحدى المعارك"[3].

---

[1] عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1968، ص 6 8.

[2] احمد بن محمد العذاري، البيان المغرب في اخبار الاندلس، ج1، ص 37 63.

[3] غوستاف لوبون، مرجع سابق، ص 261.

⟸ الكاهنة ديهيا أحد رموز الذكاء والتضحية الوطنية بالنسبة للعرب فقد بالغ غوستاف لوبون في وصف الرعب بالإضافة إلى أن فرضيته التي بين فيها ان المنطقة لم تفتح لو لم تقتل الملكة ديهيا والأجدر ان المنطقة كانت ستفتح سواء ماتت أو لم تمت، ربما الفتوحات كانت ستواجه بعض الصعوبات وتتعطل لكنها كانت ستفتح، وهذا أمر حتمي فالفاتحون لا بصعب عليهم شيء فنجد مثلا زوجها كسيلة كان قد حارب ضد قوات عقبة بن نافع وقوات قيس بن زهير البلوي، وهذا تسبب بتأخر الفتوحات الإسلامية في شمال أفريقية، فرغم نجاحات كسيلة واستلائه على القيروان وغيرها، وانتصاره في المعركة التي نشبت بينه وبين عقبة بن نافع في بسكرة جنوب بلاد الأوراس بجيش يضم 50000 جندي يقودهم كسيلة، وانهزم المسلمون في هذه المعركة وقتل عقبة بن نافع، ومثلت هذه المعركة نهاية لمرحلة من الفتوحات الإسلامية بالمغرب، وبعد هذا الانتصار أسس كسيلة مملكة واسعة تمتد من الجزائر إلى تونس وفتح اتصالا مع الروم، ومع تسلسل الأحداث في توسع المملكة البربرية بقيادة كسيلة وتواصل الفتوحات الإسلامية، ارسل جيش عربي بقيادة زهير بن قيس البلوي لاستعادة افريقية، بعد دخوله للقيروان، طارد زهير كسيلة غربا إلى ان التقيا في سهل ممس، وكانت معركة ممس، حيث قتل كسيلة وانهزم ومن معه من البربر وهذا مثال على أن رغم شجاعة وانتصارات كسيلة إلا أن الفاتحين لا يصلون ولا يقهرون في سبيل التوحيد الإسلامي[1].

7) "لا يختلف الربري عن العبي لا في انه اقل من العرب ذكاء واشد منه حقدا وطغيانا.[2].

⟸ انقاص من قيمة البربري يوصفه اقل ذكاء، فاثناء الفتوحات الاسلامية واجهت الجيوش الاسلامية في بلاد المغرب قبائل بربرية تجيد فن القتال ومتمرسة في الحروب إلى جانب الجيش النظامي البيزنطي، وكانت تلك القبائل متحررة في اغلب الحالات من ولاءات

[1] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج3، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت. ط01، 1997م، ص 111.

[2] غوستاف لوبون، مرجع سابق، ص 262.

واحلاف بينها وبقية القبائل. في ما عدى المصالح المشتركة بحيث لم تكن توجد مظاهر واحدة تجمع بينها وتجعلها تتضامن وتتحالف للوقوف بقوة امام التحديات الخارجية ولهذا السبب كانت منطقة شمال افريقية منذ فجر التاريخ معرضة للغزوات المتتالية من الفينيقيين والرومان والبيزنطيين والوندال....فغياب المصير المشترك وحدة العقيدة والثقافة امران جعلا من القبائل البربرية تبحث عن هويتها المشتتة بين ولاء بعضها للبيزنطيين واستقلال البعض الاخر على ارضه طالما انه قادر على الدفاع عنها.

ولما جاء الاسلام فانه مثل عامل وحدة ثقافية واجتماعية وعقائدية وسياسية [1]فمثلا نجد طارق بن زياد وهو ذو اصل بربري (خنشلة)، يتولى قيادة الجيش الاسلامي لفتح الاندلس، وان يتكون جند موسى بن نصير من 17000 من العرب و1200 من البربر وبذلك نجح المسلمون في نقل مجال الصراع من داخل بلاد المغرب إلى الخارج واصبح كل من العرب والبربر في خط واحد لمواجهة القوط الغربيين[2].

8) "وصار يقال على الطوارق البدويين النهابين الغدارين"

⟸ وهذا وصف مجحف بقوله نهابين غدارين، فالطوارق بدو رحل منتشرون في الأرجاء الوسطى والغربية من الصحراء الكبرى وعلى طول نهر النيجر الأوسط، والطوارق يدينون بدين الإسلام وينطقون بلغة بربرية، ولا شك أن الطوارق من القبائل البربرية التي استوطنت منذ القدم الجزائر، ويكفيهم فخرا كسكان أصليين[3]، انشأوا أول حضارة عبر التاريخ القديم ولا تزال الدراسات الأنثروبولوجية والأركيولوجية تكشف الروائع التي تشهد على أن آثار تلك الحضارة ضاربة منذ القدم، فقد كانوا ينقسمون إلى فئات منها فئة النبلاء كانت لهم السلطة العليا وتلقب بالأحرار والأسياد والأشراف الذين حافظوا على قوتهم وشجاعتهم وحريتهم التي

---

[1] علي محمد الصلابي، مرجع سابق، ص 11.

[2] عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال افريقيا من الفتح الاسلامي إلى نهاية الدولة الاغلبية، دار الغرب الاسلامي، ط2، بيروت، 1990، ص 145.

[3] محمد السويدي، بدو الطوارق بين الثبات والتغير، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989، ص25.

يتمتعون بها في الصحراء فعرفوا بالصبر والثبات وحبهم للعزلة الاستقلالية وتمسكهم بالسيادة كما تحدث عنهم هنري دوفري "**إن هؤلاء النبلاء كانوا يأخذون حذرهم من الغرباء،[1] ويمتنعون التحدث إليهم أو البوح عن ذكر أسمائهم أو أسماء شيوخ قبائلهم**" وهذا حفاظا عن خصوصياتهم حتى لا يتعرضوا للحصار أو الغزو، وكان من وظائفهم الرعي والترحال والتجارة، ودليل شجاعتهم هو حملهم للسلاح والتصدي لكل من يحاول الاقتراب منهم بسوء، لكن الطوارق اذا اشتد عليهم الجوع والعطش اضطروا إلى عمليات النهب والسرقة وذلك دون الترصد للفقراء، بل إلى ميسوري الحال فقط، وما إن سقط الغيث اخضرت الأرض عاد الطوارق إلى مرتفعاتهم وأهاليهم باعتمادهم الري وتربية أنواع مختلفة من الحيوانات[2].

وقد يمكن القول بأنه لولا قسوة الطبيعة والفقر والقاتل ما استولى الطوارق على ممتلكات غيرهم هذا ما أكده أيضا م.ه لولونغ (M.h lolnge)

9) "ولم يكن تنافس البربر وقلة استعدادهم للتمدن"

"وإذا ما قيس البربر الحضريون بالعرب الحضريين لم يرى ما يسوّغ الإدعاء بأن البربر أكثر إستعداد للتمدن أكثر من العرب، وعكس ذلك ما تثبته حوادث التاريخ، فلقد بلغ العرب لا البربر درجة رفيعة من الحضارة"[3].

⟸ نجد غوستاف لوبون أنه قد أنكر قدم الأمازيغ، فمثلا نجد مدينة قفصة في عهد الموحدين فهي مدينة اقتصادية في افريقية، وبين الجغرافيون والمؤرخون العرب هذه الأهمية؛ حيث وصفها اليعقوبي بقوله "حولها عمارة كثيرة وثمار موصوفة" وقال عنها الإدريسي "بأنها مدينة لها أسواق عامرة متاجرة كثيرة وصناعات قائمة..." ومدحها ابن خلدون بقوله "مدينة مستبحرة العمران، مستحكمة الحضارة، مشتملة على النخيل والأنهار"، وهذا يعني أن قفصة

---

[1] غوستاف لوبون، مرجع سابق، ص 262.

[2] زرارة زهيرة ميلود عامر حاج، ازمة الطوارق في منطقة الساحل الافريقي، محلة افاق العلوم، العدد العاشر جانفي 2018، ص291.

[3] غوستاف لوبون، مرجع سابق، ص 264 270.

بلغت مرحلة متقدمة في البناء والازدهار الحضاري، ومن مظاهره المميزة قيام سكان المدينة قيام سكان المدينة باستخدام الآلات والأحجار لنقل المياه إلى بساتينهم وفي أسلوب هندسي رائع بطريقة حسابية رائعة، إذ أنهم يقدرون قيمة المياه وأهميتها في حياتهم الاقتصادية بحيث كانوا يتنافسون بينهم للحصول عليها[1].

وتأتي الزراعة في مقدمة المهن لتي مارسها سكان قفصة، بسبب توفر التربة الصالحة للزراعة ووفرة المياه، واشتهرت قفصة بزراعة النخيل انتاج أجود أنواع التمور في افريقية والتي امتازت برقة قشرتها، ويصنع منها الدبس، كما عرفت بزراعة الفستق والتفاح.

أما في مجال الصناعة اشتهرت بصناعة المنسوجات والخزف صناعة الزجاج الرائعة في المدينة والعطور[2].

ونجد أيضا الدولة المرابطية التي كان لها أثر في التجارة بحيث ظهرت في بلاد المغرب أسواق ذات شهرة، وقصدها التجار من كل أنحاء العالم، فأصبحت سجلماسة مركزا من أهم مراكز التجارة عند أطراف الصحراء، فقصدها التجار من البصرة والكوفة وبغداد، وكانت تجارتها تُحمل إلى الشرق عن طريق موانئ الغرب، وأضحت سوقا تجارية عظيمة تمد أسواق المغرب بكثير من السلع الهامة[3].

بالإضافة إلى الحماديين الذين اشتهروا بالفن المعماري، وابداع الحضارة الحمادية في تشييد القصور مثل قصر المنار وقصر البحر وغيرها، ونجد أيضا المساجد كالمسجد

---

[1] كمال السيد ابو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الاسلامي من خلال نوزل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، الاسكندرية، مركز للكتاب 1996، ص 89_120.

[2] كمال السيد ابو مصطفى، مرجع سابق، ص89_120.

[3] حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى دار الفكر، القاهرة، ص 205.

القصير ومسجد القصر، ومن أبرز ميادين التصور والإبداع عند الحماديين الصناعة الطينية وتنوع الأواني الفخرية[1].

كم ازدهرت الحركة التجارية في العصر الزياني حيث شهدت أسواق المغرب الأوسط نشاطا متميزا في البيع والشراء، واصبح التجار المسيحيين القادمين من أوروبا إليها وإقامتهم في موانئ المغرب الأوسط، وهذا ما ذكرته العديد من كتب الجغرافيا والرحلات، وتنوع الموانئ التي كان لها دور فعال في الحركة التجارية[2].

المطلب الثاني: تجنيات في تناول تاريخ اسبانيا (الاندلس).

1) "صار لهم في سنة 711من القوة ما افتتحو به بلاد اسبانيا"

"ذكر لفظ العرب في عنصر عرب اسبانية كثير[3]ا"

"وغير ذلك أمر عرب إسبانية الذين بادو ولم يتركوا من الذراري من تتنور بهم أجدادهم ونحن من جهلنا حقيقة مثالهم، نراه كان مختلفا عن مثال العرب السابقين الذين فتحوا إسبانية، فقد تغير المثال العربي الأصلي بتوالده هو والموالي من النصارى وبربر إفريقية الذين أغارو على إسبانية، ونتج عن هذا التداول الذي دام ثمانية قرون عرق ديد يختلف مثاله عن مثال الغزاة الفاتحين إختلافا محسوسا كما تشهد بذلك السنن الأنثربولوجية التي كتبناها في بدء هذا الفصل وتشهد اثار حضارة العرب في اسبانية بسمو ذكاء هذا العرق الجديد المولد، ويدل تاريخهم على علو فروسيته وسبالته، ويثبت صراعه الاهلي الذي كان علة زواله اتصافه بسجايا العرب الأصلية".

---

[1] توفيق سحنون، دراسة اثرية للمجتمعات الفخرية والخزفية الاسلامية بمتاحف قلعة بني حماد، سطيف، تلمسان، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الاثار الاسلامية، معهد الاثار، جامعة الجزائر 2007، 2008، ص 367.

[2] تاريخ ابن خلدون، المسمى كتاب العبر ديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، ضبط الحواشي والفهارس، خليل شحاته، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، لبنان، 200م ص 137.

[3] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 87 86 266.

والحقيقة أنهم مسلمو اسبانيا، فقد بدات الغارات الأولى على السواحل الجنوبية للاندلس منذ سنة 91هـ ثم عين موسى ابن نصير وطارق ابن زياد وهومن اصل بربري على جيش من 7000 مقاتل أغلبهم من القبائل البربرية مثل: مكناسة وزاوة وهواوة.......... وانطلق الأسطول من طنجة سنة 92هـ /711م وحقق انتصارا حاسما على جيش لوريق، والتحق موسى ابن نصير بالاندلس ليدخل طليطلة وسرقسطة واشبيلية سنة 94هـ، ولم تتوقف الفتوحات الإسلامية بل تواصلت على كامل الأندلس، تؤكد المعارك التي قادها المسلمون وصولا إلى الاندلس أهمية المشروع الحضاري الذي حمله المسلمن في مغارب الأرض والمتمثل في نشر الدين الإسلامي وتعاليمه لإخراج هذه المناطق من سيطرة الروم والمسيحيين والبيزنطيين[1].

فالأندلس هي إحدى مقاطعات اسبانيا، واسمها في الاصل (وندلوسيا) نسبة إلى الوندال فلما فتحها العرب سموها الأندلس، ثم أطلقوا هذا الإسم على إسبانيا كلها.

2) "ولم تخرج من كونها إحتلالا عسكريا محدودا جداز"[2].

نرى أن غوستاف لوبون استخدم اسم اسبانيا والأصح هو الأندلس.

وكذلك نجده قد أخطا بقوله الإحتلال العسكري فهي في الأصح فتوحات إسلامية ونقصد بها الجهاد في سبيل الله فهو جزء يتجزأ من عقيدة المسلم، ومهمته العضيمة على الأرض إذ أنه مكلف من الله تعالى بنشر الإسلام إلى الناس في أصقاع الأرض كافة، ومن بينها الجهاد والذي اتخذ اسم الفتوحات أو الفتح الإسلامي بعد وفاته، ويقصد به خروج الجيش الإسلامي إلى الممالك والدول والأقاليم غير المسلمة لدعوتها إلى الإسلام، إما مسلمة أو دافعة للجزية أو راضخة بعد قتال إنتصر المسلمون في غالبية معارك الفتح[3].

---

[1] محمود علي مكي، روايات تاريخ الاسلام فتح الاندلس، دار الهلال، 1892، ص24.

[2] غوستاف لوبون، مصدر سابق، 267.

3 احمد بن يحى، بن جابر البغدادي الشهير بالبلاذري، كتاب فتوح البلدان، ط01، شركة طبع الكتب العربية، القاهرة، 1901، ص 8 9.

3) "لم يدم القتال طويلا، وذلك ان العرب كسروا كل مقاومة، ودانت لهم جميع اسبانية في سنتين، ولكن ليس إلى الابد فقد استرد النصارى ما خسروه من جهاد ثمانية قرون"[1].

نرى ان المؤلف غوستاف لوبون هنا يجعل من حروب الإسترداد جهادا ولكن الأصح هو تسميتها بالحروب الصليبية فهي مصطلح يطلق على الحملات العسكرية التي بدأت مع نهاية القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس هجري حوالي سنة 1095م/487هـ[2]، عندما ألقى البابا الكاثوليكي أربان الثاني خطبة في أوفريني في كليرمون جنوب فرنسا، حيث خطب بلأساقفة وحثهم على دعوة المسيحيين إلى غزوديار الإسلام واحتلال فلسطين، كما أراد أن تكون هذه الحملة تحت راية الصليب، فبدأت الحملات العسكرية نهاية عام 1096م/ 488هـ[3].

ولم تكن الحروب الصليبية في معناها الواسع إلا فترة زمنية خاصة من ذلك الصراع الدائم ين الشرق والغرب والذي اختلفت تسميته باختلاف الأزمان والمقاصد، فإذا كان هذا الصراع يتمثل في العصور القديمة ما بين الفرس من جهة اليونان والرومان والروم من جهة أخرى، متخذا صبغة الغزو والإكتساح في تكوين السلطات العضمى والإمبراطوريات العالمية، فإنه في العصور الوسطى اتخذ الصبغة الدينية في الجهاد الإسلامي والحروب الصليبية الأوروبية، ويبتدى دور الإسلام في هذا الصراع بين الشرق والغرب منذ أن بدأ الإسلام يتجاوز حدود الجزيرة العربية، فواقعة القادسية 16هـ، كانت معركة حاسمة لإخضاع البلاد الفارسية التي كانت تتزعم الشرق في مصارعة الغرب.

---

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 280.

[2] وليد الصوري، الحروب الصليبية (1094–1184)، ج1، ترجمة: حسن حبشي، مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع، 1998، القاهرة، ص 35.

[3] علي محمد الصلابي، دولة السلاجقة وبروز المشروع الاسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، ط01، د م ن، د س ن، ص9.

وبذلك تقلد العرب المسلمون هذه الزعامة في الصراع العالمي، وأصبح النزاع مائلا بين الإسلام في الشرق والأمم النصرانية في الغرب.

اما الصراع ما بين الاسلام والنصرانية فقد كان في فلسطين وكانت وقائع أجنادين 13هـ، واليرموك 13هـ معارك فاصلة لإزالة النفوذ البيزنطي عن كامل بلاد الشام، ودخول بيت المقدس 15هـ تحت حماية الاسلام وسيادته، وتتابعت الفتوحات الاسلامية فشملت برقة ومصر وافريقية والمغرب وكانت خاضعة للروم البيزنطيين.

ثم تتجاوز الفتوحات الاسلامية ذلك فتعبر المضيق بقيادة طارق بن زياد في الاندلس وتزيل النفوذ القوطي، المسيحي عنها، وتتقدم الفتوحات الاسلامية وراء جبال البرانس (Pyrenees) وتصل إلى أواسط فرنسا (poiliers). وازدادت الفتوحات الاسلامية المعضمة اتساعا بالاستلاء على معضم جزر البحر الأبيض المتوسط، من رودس إلى صقلية وجنوب شبه جزيرة إيطاليا بل حاول بعض المسلمين محاصرة مدينة روما وفتحها، كما حاول المسلمون فتح القسطنطينية عدة مرات، ولكن الامكانيات لم تساعدهم ومعناه محاولتهم فتح السيادة النصرانية في عاصمتها العربية والشرقية[1].

4) "كان أوائل الغزاة الإسبانية من العرب والبرب"[2].

هنا نرى لوبون أنه وصف المسلمين الفاتحين بالغزاة، ولوبون ذاته بعيد بعد ذلك ذكر كلمة الفتح بدل الغزو.

فمفهوم الغزو أي الاجتياح بحيث تشير كلمة الغزو كما في المعجم الوسيط "السير إلى قتال العدو في عقر داره" وهو يعني في علم السياسة: "عملية دخول منضم إلى أرض تخص جماعة أخرى، دون إرادة أهلها، بهدف الإستيلاء عليها واحتلالها ضلما وعدوانا.[3]

---

[1] ممدوح حسن مصطفى شاكر، الحروب الصليبية في شمال افريقية واثرها الحضاري، ط1، دار العمال للنشر والتوزيع، عمان(الاردن)، 1419 هـ/ 1998م، ص 112.

[2] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 281.

[3] محمد عبد الرحمن، التنصر والاستغلال السياسي، ط01، ، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2009، ص 16.

أما الفتح فهي تشير في المعجم الوسيط إلى "التغلب عليه وتملكه"، أما المفهوم اسياسي للفتوحات فهي "ضم البلاد المفتوحة إلى الدولة الفاتحة واعتبارها ولاية من ولاياتها، وتطبيق النضام الحاكم في البلد الأم "ولقد عرفت الفتوحات العربية مع ضهور الإسلام وبعده مبادئ أكثر وضوحا وعدالة، مستمدة جذورها من القران والسنة وتعليمات الخلفاء، يعود حسن معاملة العرب لأهالي البلاد المفتوحة إلا ان الفتوحات العربية لم تكن تستهدف استعمار الأراضي والسكان، وإنما كانت تستهدف نشر الدعوة والجهاد في سبيل الله "وهو ما سيتضح بجلاء عند الحديث عن الفتوحات الإسلامية والتي امتدت من حدود الصين شرقا إلى شاطئ الأطلس غربا في أقل من مئة عام.

إن العقيدة الإسلامية وهي سلاح الفاتحين الامضى، فسيف الاسلام لم يشعر في وجه المتستضعفين، وانما في وجه القياصرة والاكاسرة الذين يملكون الجيوش ويتسلطون على العباد، فالفاتح الاول والرسول والفاتحون من بعده لم يهدفو إلى بناء امبراطورية.

فالفتوحات الاسلامية لم تكن عملية توسعية عدوانية بقصد إخضاع العالم تحت سيف العرب، ومن أجل مصلحة العرب وفي ضل امتياز العرب (كقوم) على الاخرين واستنادهم بهم، بل هي عملية تهدف إلى مساواة الشعوب جميعافي ضل العقيدة الاسلامية ومن ثم تكوين امة واحدة وهي الامة الاسلامية".

إن التاريخ الاسلامي شهد ما يسمى بالفتح الاسلامي السامي والنبيل، لكن ذلك لم يخل من الاستثناءات بدات تضهر في بعض الحروب والفتوحات حيث حصلت بعض التجاوزات التي لا يقاس عليها، ولكن القدر الاكبرمن الفتوحات حدث بشكل سلمي وحسب المعايير الاسلامية مما دفع الناس للدخول في دين الله أفواجا.[1]

---

[1] غزمي طه سيد حمص، خليل براهيم، محمود حمدان قرعوش، كايد يوسف محمود، كتاب الثقافة الاسلامية، الناشر: جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، 2014، ص 114.

5) "واستغاث عرب اسبانية ببربر مراكش ف يسنة 1085م، ليحولوا دون توالي الانتصارات ملك قشتالة وليون.".......[1]

⟸ استغاث مسلموا الاندلس وليس العرب فقد استغاث بدولة المرابطين وليس بربر مراكش مراكش أو المغرب، ففي عام 1060م حفز البابا الاسكندر الثاني المسيحيين لقتال المسلمين في الاندلس بضمان غفران خطاياهم واثامهم، فكانت طليطلة أول حضارة إسلامية اندلسية تسقط في أيديهم عام 1086م، ورغم تمكن المرابطين من وقف زحف المماليك المسيحية وإنهاء حال التفتت في الاندلس بإسقاط الطوائف متناحرة إلا أنها لم تسترجع ما ضاع من أرض، ولم يتمكن من ذلك الموحدين أيضا، في ذروة قوتهم العسكرية وازدهارهم الحضاري الغير مسبوق في المنطقة وامتدادهم الامبراطوري على طول بلاد المغرب، فقد بعث المتوكل بن الافنطس أمير مدينة بطليموس رسالة استغاثة ليوسف ابن تاشفين يشرح له فيها أوضاع الأندلس قائلا فيها: "لما كان نور الهدى دليلك وسبيل الخير سبيلك، وصح العلم بأنك لدولة الاسلام أعز ناصر، وعلى عزو الشرك أقدر قادر، وجب ان نستدعي لما أعضل الداء، وتستغاث فيه أحاط الجزيرة من البلاء، فقد كانت طوائف العدو تطيف بها عند إفراط تسلطها واعتدائها وشدة ضلمها واستشرائها، ولم يزل دأبها التشكيك والعناد، ودأبها الإذعان والإنقياد، حتى نفذ الطارق التلاد، وأتى على الضاهر والباطن النفاذ، وايقنوا الان بضعف المتن، وقويت أطماعهم في افتتاح المدن، وأضرمت في كل جهة نارهم، ورويت من دماء المسلمين أسنتهم وشفارهم، ومن أخطأه القتل منهم فإنما هم في أيديهم، وسبايا، يمتحنونهم بانواع المحن والبلايا، فيا لله ويا للمسلمين أيبسطوا هكذا بالحق الإفك[2]، ويغلب التوحيد الشرك، ويضهر على الايمان الكفر، ألا ناصرا لهذا الدين المنضم، الا حاميا لما استبيح من حمى الحرم، وما

---

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 283.

[2] مؤلف اندلسي مجهول، الحلل الموشية، في ذكر الاخبار المراكشية، ط1، تحقيق: سهيل ذكار، دار الرشاد الحديثة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء (المغرب)، 1399هـ/1979م، ص 255.

احضك على الجهاد بما في كتاب الله، فإنكم له أناس، ولا بما في حديث رسول الله، فإنهم إلى معرفته أهدى وفي كتابي هذا الذي يحمله إليكم الفقيه الواعظ، مسائل مجملة يفصلها ويشرحها، ومشتمل على نكت وهو يبينها ويوضحها، وقد عولت عل بيانه، ووثقت بفصاحة لسانه، والسلام"، وعند قراءة ابن تاشفين للرسالة كان رده بأنه سيأتي للجهاد، وعقد إجتماع في مدينة قرطبة حضره أمراء الأندلس وفي عام (479هـ) ارسل عباد رسالة لابن تاشفين:"الى حضرة الإمام أمير المسلمين، إنا نحن العرب في هذه الأندلس قد تلفت قبائلنا وتفرق جمعنا، وتوالى علينا هذا العدو المجرم اللعين أدفش أسر المسلمين، واخذ البلاد والقلاع والحصون، وليس لنا طاقة على نصرة جاره ولا أخيه، وقد ساءت الأحوال وانقطعت الأمال، وانت أيدك الله ملك المغرب، واستنصرت بالله ثم بك، واستغثت بحرمكم، لتجزو لجهاد هذا العدو الكافر، والسلام على حضرتكم السامية ورحمة الله تعالى وبركاته.

وصلت رسالة ابن عباد لإبن تاشفين واستشار قادته وأيدوه من أجل عبور الأندلس فأرسل للمعتمد رسالة: "من أمير المسلمين إلى المعتمد إبن عباد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد، فإنه وصل خطابكم المكرم، فوافقنا على ما تضمنه من استدعائنا لنصرتك، وما ذكرته من كربتك فنحن يمين لشمالك ومبادرون لنصرتك وحمايتك، وإنه لا يمكننا الجواز إلا أن تسلم لنا الجزيرة الخضراء، تكون لنا، لكي يكون إليك على أيدينا متى شئنا، فإن رأيت ذلك فاشهد بنفسك، والسلام عليم ورحمة الله وبركاته"، ووصل رد المعتمد بن عباد ليوسف بن تاشفين بالموافقة عل إعطائه مدينة الجزيرة الخضراء لجعلها قاعدة عسكرية ومساندتهم ضد القشتاليين[1].

6) "ودامت دولة العرب في إسبانية حوالي ثمانية قرون..........وعاهد فرديناند الغرب على منحهم حرية الدين واللغة".

---

[1]مؤلف اندلسي مجهول، مصدر سابق، ص 203.

"لتعذر إحراق الملايين منالعرب دفعة واحدة في سنة.......في سنة 1610م، تم إجلاء العرب عن إسبانية فقتل أكثر مما جرى العرب في الطريق"[1].

⟸دولة الإسلام وليس العرب، تاريخ الإسلام في إسبانية بداية الفتح الأموي في القرن السابع الميلادي، حيث أصبح الإسلام دينا واسع الإنتشار في شبه الجزيرة الإيبيرية، حت سقوطها في القرن الرابع عشر وطرد الموريسكيين وإجبارهم على إعتناق المسيحية، حتى تلاشت ممارسة الإسلام كليا في القرن التاسع عشر، وانتهى حكم المسلمين في اسبانية بسقوط غرناطة سنة (898هـ-1492م) بعد عقد معاهدة بين فردناند وايزابيلا يلتزمان بها احترام الين، ولكنهما نقضا المعاهدة، وحاكما المسلمين أمام محاكم التفتيش التي أصدرت أحكامها بالإعدام حرقا عدد كبير من المسلمين واستمرت هذه المحاكم تمارس سلطاتها لأكثر من ثلاثة قرون ولم تلغ الا في القرن الثامن عشر في عام 1499 جل المسلمين في الاندلس دور الإضطهاد والتعذيب الذي دام قرن من الزمن والذي لم ينتهي إلا بطردهم نهائيا من إسبانيا سنة 1610 بأمر من الحكومة وبلغ عددهم ثلاثة ملايين، كما أمرت محاكم التفتيش بإحراق المعذبين على أنهممن النصارى، ونصح كاردينال طليطلة الذي كان رئيسا لمحاكم التفتيش بقطع رؤوس جميع من لم يتنصر من العرب، وقد أبدى الراهب دومينيكي ارتياحه لقتل ثلاثة أرباع هؤلاء المهاجرين في اثناء هجرتهم[2].

7) "فأنشا جامع قرطبة الشهير الذي هو من عجائب الدنيا، لتحويل أنضار العرب عن مكة"[3].

⟸هذا خطأ فادح وقع فيه غوستاف لوبون، بحيث أنه لا يمكن لأحد أن يصرف قلوب الناس عن مكة والمدينة، فهي مكان مقدس بالنسبة للمسلمين فقد ورد ذكرها في القران الكريم

---

[1] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص ص 284 285.

[2] جمال يحياوي، سقوط غرناطة وماساة الاندلسيين، 1492-1610م، دار رهومة للطابعة والنشر والتوزيع الجزائر 2004،، ص ص 126 127.

[3] غوستاف لوبون، مرجع سابق، ص 287.

في العديد من الأيات والسور القرانية والأيات،الكريمة بإعتبارها مسقط رأس الرسول صلى الله عليه وسلم، ولها أهمية كبيرة فقد زارها وكتب عنها الكثير من الجغرافيين والرحالة والمؤرخين المسلمين من بينهم ابن الفقيه في كتابه "مختصر البلدان"، والأرزقي في كتابه "أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار"، وابن بطوطة في كتابه "تحفة النضار في غرائب الأمصار"، وابن حوقل في كتابه "صورة الأرض"، وقد أشار الكثير من العرب الرحالة إلى مكة المكرمة وجزيرة العرب منهم: ابن دقمان، والإدريسي، والإصطخري، الدمشقي، الزمخشري، اليعقوبي، المسعودي، المقدسي، ياقوت الحموي، الحمري[1].

وقد تحدثت كتب التفسير والأحاديث الكثيرة عن فضل مكة والمدينة ونذكر أن الترميذي روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من استطاع أن يموت فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها"[2].

كما روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال ك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء"[3].

8) "أي كان الخليفة هو وكيل الله في الأرض "[4].

⟵لم يكن كذلك فالمقصود بالخلافة لغة: مصدر خلف يخلف خلافة، أي بقي بعده أو اقام مقامه، والخلافة اسم للمنصب الذي يتولاه من يخلف الرسول صلى الله عليه وسلم في إجراء الأحكام الشرعية ورئاسة المسلمين في أمور الدين والدنيا، والخلافة كذلك نيابة المرء عن غيره، إما لغيبة المنوب عنه، وإما اموته أو لعجزه، أما شرعا: فالخلافة تدل على معنى

---

[1] حسان حلاق، مكة المكرمة من خلال رحلتي ابن جبير وابن بطوطة، دار العربية، للطباعة، والنشر، بيروت، ط1، 1996، ص104.

[2] محمد ناصر الدين الالباني، سلسلة الاحاديث الصحيحة وشيئ من فقهها وفوائدها (السلسلة الصحيحة)، مكتبة المعارف، صحيح الالباني، حديث: 3076.

[3] بن حجاج الحسين مسلم، صحيح مسلم، ط01، دار الخلافة المالية، لقاهرة، 1330هـ، الحديث 1387.

[4] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 289.

واحد عند أهل السنة، وهي عند ابن خلدون: "حمل الكافة على مقتضى النضر الشرعي في مصالحهم الأخوية والدنيوية الراجمة إليها "فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا وعرفها التفتارامر والماوردي "بأنها رئاسة عامة في أمرالدنيا والدين، خلافة عن النبي صلى الله عليه وسلم".

وفي مآثرالإنافة "هي الولاية العامة على كافة الأمة والقيام بأمورها والنهوض بأعبائها"، ولا بد أن يكون للخلافة شروط أهمها، الإسلام: إذ لا يجوز أن يتولى أمر المسلمين كافر لقول الله تعالى:"ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيل "، الذكورة: حيث أن منصب الخليفة يترتب عليه الكثير من الخطورة والصعوبة ومن المعروف أن طبيعة المراة الرقة والأنوثة واقتضت حكمة الشرع عدم تولية النساء أمر المسلمين، لذلك يجب أن يكون الأمير رجلا.[1]

التكليف: ييجب توفر العقل والبلوغ لتولي الأمر،حيث لا تصح إمارة الصبي ولا المجنون، لأنهما غير مكلفان.

الحرية: فلا يجوز تولية منفيه رق، لأنه مشغول بخدمة سيده، ولا يملك من أمره شيئا.

الكفاية حيث يجب أن يتوفر في من سيقود الأمة الجرأة والشجاعة ما يؤهله لقيادة العلماء في ذلك الشرط، حيث يرى الجمهور بأن العدالة والإجتهاد شرط لصحة تولي الخلافة، ويرون عدم جواز تولي الفاسق، إلا في حال فقدان العدل المجتهد وقد تبنى هذا الرأي كل من الشافعية والحنابلة والمالكية، بينما خالفهم الاحناف حيث قالو بأن العدالة والإجتهاد شروط أولوية.

النسب: إختلف العلماء في هذا الشرط أيضا، فقد ذهب العلماء إلى أن النسب شرط شرط صحي لتولي الخلافة، ويجب أن يكون الخليفة من قريش، وأما الفريق الأر من العلماء فقالوا

---

[1] محمد السعيد العشماوي، الخلافة الاسلامية، ج2، "2، سينا للنشر والتوزيع، القاهرة، 1992، ص 97 100.

بعدم إشتراط النسب واستدلوا بقول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه:(لو كان سالم مولى ابن حذيفة حيا لأستخلفته).

سلامة السمع والبصر واليدين والرجلين: وقد اختلف العلماء في ذلك، حيث يرى الجمهور أن السلامة من العيوب شرط لتولي الخلافة، لأنها تمنع من تولي مصالح المسلمين على أكمل وجه وخالفهم فريق من العلماء، ولم يعتبرو ذلك الشرط، لعدم توفر دليل من الكتاب ولا من السنة النبوية[1].

9) "أخذت حضارة العرب تنهض منذ إرتقاء عبد الرحمانّ إلى العرشط".

"أقيم جامع قرطبة أيام كان الفن العربي في فجره وتدرج الفن العربي إلى الكمال"

"المباني العربية في طليطلة"[2].

⬅الأصح الإسلامي بدل العربي، نجدّ أن غوستاف لوبون استعمل كلمة العرب بدل المسلمين والأصح هو المسلمون والمباني التي نسبها إلى العرب فالأصل فلأصل القول المباني الاسلامية فقد بناها فقد بناها المسلمون أثناء العديد من الصفحات، فالعمارة الإسلامية هي من أهم الخصائص البنائية التي استعملها المسلمون لتكون هوية، وقد نشأت تلك المساجد مثل: قرطبة وغيرها من المباني الإسلامية في طليطلة بفضل المسلمين سواء عرب أوغير عرب[3].

المطلب الثالث: تجنيات في تناول تاريخ فرنسا وصقلية.

1) "يدلنا درس تاريخ العرب في مختلف الأقطار التي دخلوها التي دخلوها على أن لغزواتهم مناحي مختلفة، أي بدلنا على أنهم إما أن يكونوا قد أغاروا عليها، ليستقرو بها نهائيا، وإما أن يكونو قد اكتفوا بغزوهم الخاطف لها"[4].

---

[1] محمد السعيد العشماوي، مرجع سابق، ص 208.

[2] غوستاف لوبون، مرجع سابق، ص ص 289 287 303.

[3] فريد الشافعي، العمارة العربية الاسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ط2، جامعة الملك سعود، 1982، ص62.

[4] غوستاف لوبون، مرجع نفسه،ص 313.

⟵ أولا لفظ المسلمون بدل العرب وهذا الخطأ أشرنا عليه في الكثير من المرات السابقة بلإضافة إلى أن المسلمين جاؤوا فاتحين وهدفهم نشر الإسلام وليس الإستقرار بتلك المناطق، فهي الغاية الأسمى التي من أجلها أرسل الله بها سيدنا محمد بفتح هذه البلدان وإيصال دين الله، بإعتبار سكان المغرب شمال إفريقية كانوا بعيدين كل البعد على الدين الإسلامي، وكان هدفهم تحريرهم من عبادة الأصنام وغيرها من العبادات التي تعتبر شرك بالله، ومثال عن الفاتحين في المغرب رجعوا إلى قواعدهم، كموسى ابن نصير الذي ترك المغرب وعبد الله كذلك الذي غادر المغرب دون أن يترك وراءه أي حامية عربية تحافظ على ما كسبه المسلمون كما فعل عمربن العاص من قبل عندما ترك عقبة بن نافع برقة[1].

2) "وهؤلاء البربر من أشد الشعوب التي دانت لشريعة الرسول بأسا وأضعفهم تمدنا كما ذكرنا"[2].

⟵ احتقار البربر بقوله أضعفهم تمدنا، فالبربر إرتدوا بافريقية المغرب، اثنتي عشرة مرة، وزحفواها للمسلمين، وقد ثبت إسلامهم في أيام موسى ابن نصير، وقد شيدوا العديد من الحصون والاطام والامصار من سجلماسة وقصور توات، وتجورارين وفيجيج ومصاب وواكل وبلاد ريفة والزاب ونفزاوة والحمة وغدامس.

وقد بلغت الشهرة في الدراسات السابقة التي تناولت موضوع البربر أنهم كانوا حريصين لإقامتهم لمراسم الشريعة وأخذهم بأحكام الملة ونصرهم لدين الله فقد نقل عنهم من اتخاذ المعلمين لكتاب الله والإستفتاء فيه، وتدارس القران بين أحيائهم وتشكيل حملة القمة في نوازلهم وقضاياهم وصياغتهم لأهل الدين والخير وهذا يدل على رسوخ إيمانهم وصحة معتقداتهم، فقد كان لهم الإهتمام بالعلم والجهاد وتشييد المدارس واختطاط الزوايا وإنفاق الأموال في سبيل الخيرات ومخالطة أهل العلم وترفيع مكانهم في مجالستهم ومفاوضتهم في

[1] عبد العزيز حافظ دنيا، موسى بن نصير حياته وعصره، دار القومية للنشر والتوزيع، د م ن ، د س ن، ص122.
[2] غوستاف لوبون، مرجع سابق، ص 314.

الإقتداء بالشريعة ومطالعتهم لسير الأنبياء وقرائتهم للدواوين، أي أن البربر قد اعتنقوا الإسلام على اجتهاد وتمدن فيه [1]

3) " وكانت مستعدة لتكون غنيمة لغوزات العرب (يقصد فرنسا) الذين استولو على أكثر مدنها الجنوبية بسهولة".

"لتكون قواعد يستطيعون أن يشنوا منها غارات جديدة على بعض البقاع حيث يأملون أن يجدوا ما يغتنمون."

"ينهبون البلاد التي قطعوها"[2].

⟸ عاود غوستاف لوبون الوقوع في نفس الخطا بإعتبار الفتح الإسلامي على أنه غزو والأصح مصطلح الفتح وليس الغزو وهذا ما ذكرناه سابقا عندما طرحنا الفرق بين الغزو والفتح، بالإضافة إلى أن هدف المسامون الفتح وليس الغنيمة ولا الإستيلاء وقد ذكرنا أيضا سابقا الأهداف من الفتوحات الإسلامية عند الرد على لوبون، ونجد أن غوستاف قد إستعمل مصطلح ينهبون وهذا تجاوز محض فهذا المصطلح غير مناسب فهو مرادف للموصية، ولوبون يعترف بنفسه عن سماحة المسلمين في مواطن أخرى من كتابه.

4) "رأينا أن سلوك عبد الرحمان الغافقي يدل على أنه بدخوله فرنسا لم يفكر في غير الغنائم"[3].

⟸ التفكير بالغنائم منفردا خطأ جسيم وتهمة لشخص الغافقي، فعبد الرحمان الغافقي هو شخص مصلح، فعندما بدأ بزيارة الأقاليم المختلفة ونضم شؤونها وعهد بإدارتها لذوي القضاء والعدل، وقمع الفتن والمضالم وما استطاع فقد رد إلى النصارى كنائسهم وأملاكهم المغصوبة وعدل نضام الضرائب، وفرضها على الجميع بالعدل والمساواة، وقضى الشطر الأول من

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدا والخبر في في تاريخالعرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشان الاكبر، ج6، دار الفكر للطبع والنشر والتوزيع، 1406م ص 100.

[2] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 325.

[3] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص ص 325 326.

ولايته في إصلاح عوامل الإضطراب والخلل، وعني بإصلاح الجيش وتنضيمه عناية خاصة، فحشد الصفوف في مختلف الولايات، وقام بإنشاء فرق قوية من فرسان البربر بإشراف والاستعانة بكبار الضباط المسلمين، وحصن القواعد أي أن الغافقي كان عادلا في حكمه يمتاز بالسماحة في المعاملة[1]، فعبد الرحمان الغافقي أمير الأندلس فقد ذكر المقري في النفح نقلا عن ابن سعيد أنه كان من التابعين في تولي إمارة الأندلس، وكل ما ذكره المؤرخون من أخباره يدل على أنه كان من أفذاذ الرجال شجاعا وإقداما في العدل وفي الأحكام والسهر على مصالح الأنام وبعيد النظر عن السياسة[2].

5) " فلم تكن غزوة عبد الرحمان الغافقي سوى حملة قام بها، ليمرن جنوده ويمكنهم من أخذ مغانم كثيرة، وما كان العرب ليفعلوا أكثر من نهب مدينة تور وبضع مدن أخرى "

"ما كان العرب غالبين انتهبوا بضع مدن".

⟸ جعل لوبون سبب الفتوحات هو الغنائم فقط وهذا خطأ جسيم كما ذكرنا سابقا، فمصطلح النهب فيه تجاوز على الحقيقة، لأن لوبون في نفس الصفحة أن الأسلام لو إنتشر في أوروبا لإزدهرت وتخلصت من حروبها وبربريتها، وهنا تناقض فكيف يمكن تطابع النهب مع الإصلاح، ونجد أنه في عبارة يقول لوبون "ثم يسألون مذعورين عن مصير الشعوب النصرانية لو حفقت فوقها راية النبي "وهذه الكتابة تدل على خوف الأوروبيين من شيوع الإسلام في أوروبا ومدى انتصارات الفتوحات الإسلامية"[3].

تم التطرق واستخراج اهم إخفاقات لوبون التي تناولها في كتابه "حضارة عرب" إلا أن المطاعن فيه كثيرة خاصة في مجال العقيدة الإسلامية فهو لم يدرك أو يتصور ظاهرة

---

[1] محمد علي قطب، محمد عبد الرحمان الغافقي شهيد بلاط الشهداء، ط1، المكتب الاسلامي، بيروت (دمشق)، 1981، ص 11.

[2] الامير شكيب ارسلان، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا والجزائر والبحر الابيض المتوسط، دار الكتب العلمية، يروت، د س ن، ص 100.

[3] غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص 328.

الوحي، ولم يقر بها لمحمد بن عبد الله، ولم يستوعب بعض الأمور المتعلقة بالنبوة والقرآن والشريعة، بالإضافة إلى بعض الأخطاء التي وردت في جانب الذي تناوله على تاريخ افريقيا الشمالية والأندلس، وتقليل من شأن البرابرة بوصفهم بالهمج وافكار حضارتهم أثناء الفتوحات الإسلامية.

خاتمة

خاتمة:

وفي الأخير ما علي سوى حمد الله على إتمامي لهذا العمل الذي قضيت زمنا في تتبع تفاصيله واستقصاء جوانبه المختلفة، كما حاولت قدر المستطاع إدراك وفهم وتحليل ما توفر لي من مادة ومعطيات حول موضوع نقد كتاب غوستاف لوبون من حيث الإيجابيات والسلبيات، خاصة ما تعلق بتاريخ الغرب الإسلامي، الذي تناوله باعتبار هذا الكتاب قد سرد أمجاد العرب من زاوية أوروبية نادرة، هو أكثر الكتب إنصافا نوعا ما، رغم دركات الإخفاق التي وقع فيها غوستاف لوبون، وباعتباره من الكتب والأبحاث التي تنظر إلى الجانب المشرق من الحضارة الإسلامية، ومن أقواله الشهيرة في كتابه: "ولم يقتصر فضل العرب والمسلمين في ميدان الحضارة على أنفسهم، فقد كان لهم الأثر البالغ في الشرق والغرب، فهما مدينان لهم في تمدنهم..."، وغيرها من الأقوال والعبارات التي تعبر عن ثنائه في طيات الكتاب، وقد اتجه في مدحه وتحليله لتفوق المسلمين، إلى إظهار مدى تأثر أوروبا بحضارتهم وأهم إنجازاتهم واختراعاتهم وقوتهم، وغير ذلك في مختلف المجالات.

إن كتاب "حضارة العرب" –الذي جاء بترجمة في غاية الفصاحة للمترجم البارع عادل زعيتر– قد تناول حضارة العرب منذ فجر الإسلام حتى دولة الأندلس، يمنح كإطلالة بنورامية على العمارة والسياسة والتجارة الفنون والعلوم، بحيث أن غوستاف لوبون استطاع أن يشير بموضوعية إلى أسباب الازدهار وأسباب الانحطاط. الكتاب يتناول المسلمين في أصلهم ونشأتهم وتطورهم الحضاري، ويثني على دورهم الريادي في شتى المجالات العلمية والفنية البشرية، وتناول المسلمين (العرب) قبل الإسلام وبعده، على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وجميع فترات الخلافة.

وفي معرض حديثه عن إسبانيا (الأندلس) وإفريقيا الشمالية وصقلية، وجدت أن انطلاق غوستاف لوبون لفهم العرب كان غريبا بالنسبة لي، فقد كان انطلاقه عرقيا بما لعناية الرجل بعلم النفس والسيكولوجية والجانب الفلسفي لعلم الاجتماع، هذا ما جعلني أنظر في

تسمية كتابه بحضارة العرب بدل الحضارة الإسلامية، والأصح مصطلح المسلمين لا العرب كما ذكر (لوبون)، ولابد من أن نقاط قوة هذا الكتاب سبب نجاحه إلا أن هذا المستشرق قد وقع في مطبات نقدية تلامس الجانب الديني "كزواج الرسول صلى الله عليه وسلم، ووصفه بأنه محب للنساء، بسبب كثرة زواجه، هذا ضعف من محمد"، وأن غوستاف لوبون لم يصب في هذا ومجمل حديثه عن الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يخص زوجاته –أمهات المؤمنين– لم يكن موفقا فيه، وكذلك مثال آخر عن مقارنته للقرآن الكريم بالكتاب المقدس؛ الإنجيل والتوراة وكتابات الهند الدينية القديمة، وهنا أرى أن غوستاف كان معتديا في هذا الجانب.

والحقيقة أنني لم أقرأ الكتاب فحسب بل كنت قد درسته كما أدرس مادة أكاديمية، وأدون وأحلل وأفند في الجانب الذي تناوله في الغرب الإسلامي، وأربط ما قرأته بأمور أخرى قدر ما تسعفني به ذاكرتي الصغيرة، وأبحث أكثر في الأنترنيت عن مصادر ومراجع تساعدني على استخراج مهاويا لتجني والإخفاق في تناوله لتاريخ الغرب الاسلامي، ولابد من الرجوع للمصادر التاريخية لإدراك الحقيقة، إلا أن دركات الاخفاق التي جاءت في تاريخ الغرب الإسلامي من خلال كتابه لم تكن واضحة لدرجة كبيرة، كذلك لأتأكد من إرجاعها إلى الصواب وذلك بالرجوع إلى المصادر والمراجع وتتبع الخطأ.

والحقيقة أن هذا الكتاب فتح أبوابا عديدة في وجهي، بالاضافة إلى أنه جعلني أعرف الكثير عن تاريخ حضارتنا وأسباب زوالها، وقد خرجت من هذا الكتاب بفوائد كثيرة، وأسقطتها على واقعنا الحالي المؤسف وكأن الوضع انقلب، واقتنعت أكثر بمقولة أحدهم قالها على تويتر "بأن أحوالنا الحالية مثل أحوال القرون الوسطى في أوروبا، وأن واقعهم هم عشناه نحن يوما ما"، وحقيقة أخرى أن الكتاب رغم جهد كاتبه الكبير في البحث والتنقيب عن أصغر تفاصيل العرب وحضارتهم، إلا أنه أخطأ في بعض الأمور، ولا أنكر أنه وقع في أخطاء أزعجتني واستفزتني كثيرا، وهناك العديد من النقاط التي اختلف فيها مع لوبون بشدة، خاصة

بشأن القرآن، وحياة نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم، كما تقليلهم بإنجازات البربر أثناء الفتوحات الإسلامية، ونعتهم بعدم الاستعداد الحضاري، وقد أثبت عكس ذلك تاريخيا عن بعض الخلفاء والقادة كطارق بن زياد وموسى بن نصير.

أول كتاب أقرأه لغوستاف لوبون، وأول كتاب من ترجمة البارع عادل زعيتر، أبهرني كثيرا، وبالتأكيد سيرفع من مستوى الترجمات التي أتطلع لقراءتها مستقبلا.

أظن أن هذا الكتاب رغم أخطائه التي ذكرتها، والتي قد يعذر كاتبها حسب نيته، ما يبني من إبهام حول عدم إسلامه، رغم كل هذا المدح والثناء، وذلك أن الكتاب لم يفقد بريقه مع تقدم السنين، وسيبقى مرجعا للكثير من الباحثين، وباعثا في نفوس قرائه حزنا لما كان عليه المسلمين، وأملا يبعث حضارتنا يوما ما.

وفي النهاية، لا أدعي إلماما ولا إحاطة، فإن وفقت وأصبت فبفضل من الله، والكمال له وحده، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، وحسبنا أننا بشر نخطئ ونصيب، ولا أدري إن كنت وفيت هذا الموضوع حقه أم لم أستطع. ولا يسعني سوى التعبير عما يعتمل نفسي من تفاعل مع هذا الموضوع، وأتمنى أن أكون قد أفضت في تحليلي من خلال ريشة قلمي.

أولا: الاستنتاج

نستخلص من خلال هذه الدراسة أهم الإستنتاجات:

1-أن غوستاف لوبون من أهم الكاتبين والمؤرخين الذين تركوا بصمتهم في التاريخ الفكري.

2-كتاب "حضارة العرب" كتاب لاشك فريد من نوعه، بحيث أنه كتاب محب للعرب وحضارتهم الإسلامية، وهو ذو قيمة علمية.

3-لقد وصف (لوبون) حضارتنا فأجاد وتوفق، واعترف بدورها وأهم انجازات المسلمين في كل أنحاء العالم.

4-بعد غوستاف لوبون على التعصب والحقد غالبا، وقد أثبت حبه للعرب في العديد من العبارات في كتابه.

5-رغم إنصافه إلا انه صدمني من خلال دراسة كتابه بأقواله في القرآن وفي رسول الله الكريم صلى الله عليه وسلم.

6-أن غوستاف لوبون قد تعرض بالانكار لبعض معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك لبعض الأشياء في العقيدة والشريعة الإسلامية والتاريخ الإسلامي في نفس الوقت وقد تعرض للكثير من الإيجابيات التي تحسب له في مجالات العقيدة والشريعة الاسلامية.

7-أن غوستاف لوبون قد أصاب وتفوق في عرضه للحضارة الإسلامية معترفا بالأثر الذي خلفته الحضارة الإسلامية في كافة أنحاء العالم في الشرق والغرب.

8-أن غوستاف لوبون وقع في العديد من التجنيات ولم يدقق في انجازات وحضارات المغربة الإسلامي، والبربر الذي كان لهم دور كبير في الفتوحات الإسلامية في منطقة الغرب الإسلامي.

ثانيا: التوصيات

1-أهمية ترجمة الكتب الأجنبية والرد عليها خاصة وإذ كانتة منتشرة مثل كتاب "حضارة العرب" فقد قام الأستاذ عادل زعيتر بترجمته من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية وعلق عليه، وأخذوا ونقدوا واستشهدوا بما فيه العديد من العلماء المسلمين، وقد قمت بدراسته باستخراج ما أصاب فيه المؤلف غوستاف لوبون، وقمت بنقد الخطأ الذي وقع فيه بحثا عن الصواب، سواء كان خطأ متعمدا أم من دقة الفهم لدى المؤلف، وقد ركزت على الفصل الذي تناول فيه تاريخ الغرب الإسلامي ونقدته وحللته معتمدة على المصادر التاريخية المتخصصة في تاريخ الغرب الإسلامي.

2-على الباحث المسلم، أن يكون متعمقا في دراسة الدعوة الإسلامية، وأن يكون غيورا على دينه وحضارته وأن لا ينخدع بأساليب المستشريقين.

3-إنشاء موسوعة علمية، لمعالجة والرد على مثل هذه القضايا بمقتضى مستويات العصر الثقافية بعيدا عن التعصب، والتعريف الكامل بالإسلام والحضارة الإسلامية.

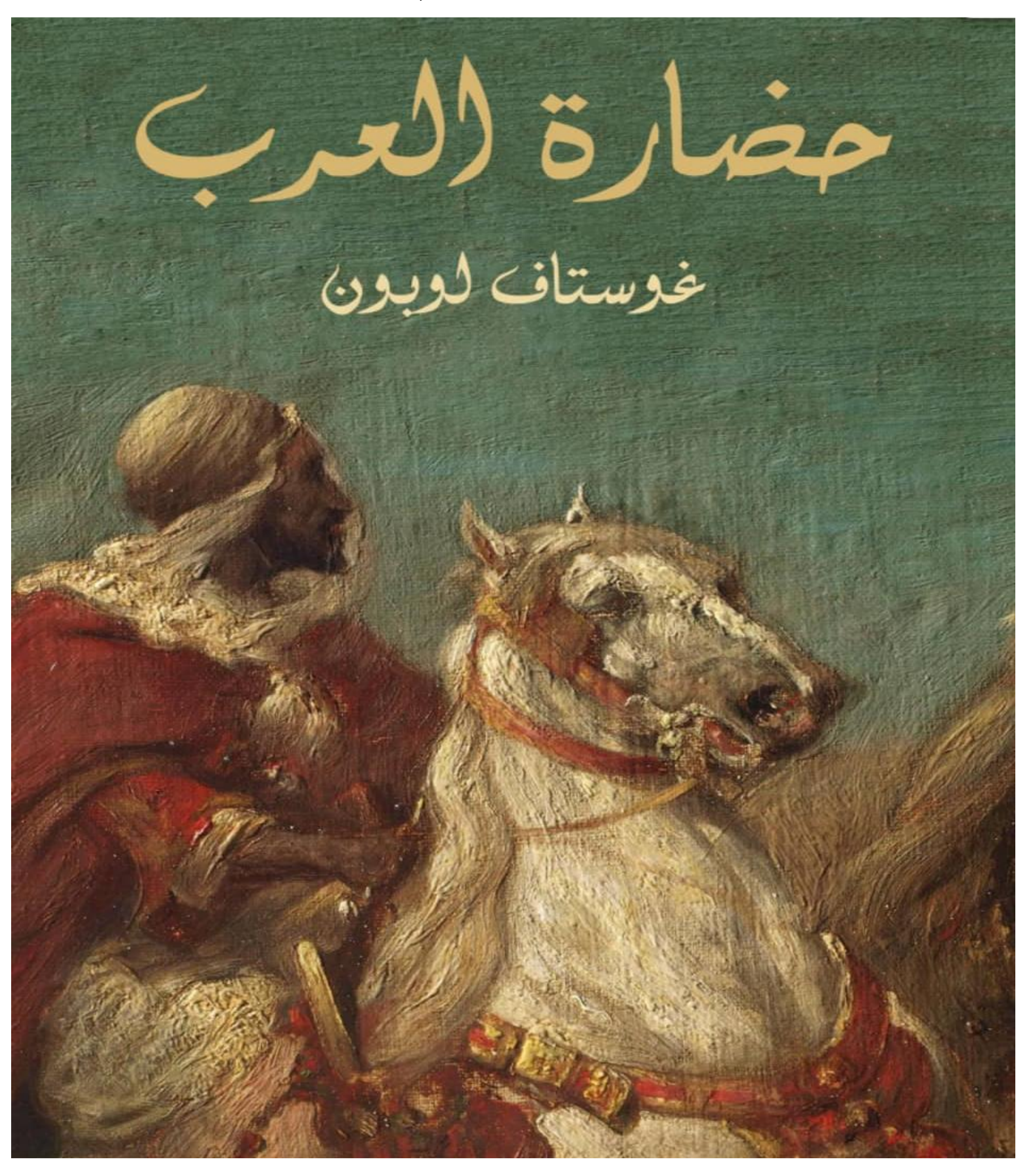
4-إنشاء جهاز عالمي ومؤسسة اسلامية للدعوة الاسلامية لاستقطاب الكفاءات العلمية من كافة أنحاء العالم الإسلامي للتعريف بالفتوحات الإسلامية شرقا وغربا، وتنقية التراث الإسلامي وترجمة كل هذا إلى العديد من اللغات التي يمكن أن يفهمها العالم كرد على المستشرقين والتعريف كذلك بتاريخ الغرب الاسلامي واثر الحضارة الاسلامية على أوروبا.

الملاحق

الملاحق:

الملحق رقم (01):

صفحة غلاف الكتاب[1]



[1] – غوستاف لوبون، حضارة العرب، مرجع سابق، صفحة الغلاف.

الملحق رقم (02):

صورة لغوستاف لوبون[1]



[1] https://ar.wikipedia.org/wiki/

الملحق رقم (03):

صورة لمترجم الكتاب عادل زعيتر[1]



[1] - https://www.fatehwatan.ps/page-177675.html

الملاحق:



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع: تاريخ الغرب الاسلامي في مرايا الاستشراق الفرنسي - غوستاف لوبون نموذجا -

إعداد الطلبة:

-1 محامدية صباح .... **رقم التسجيل:** ....

-2 .... **رقم التسجيل:** ....

القسم: تاريخ **الشعبة:** علوم انسانية **التخصص:** تاريخ الغرب الاسلامي.

إشراف: بساكري عبد العزيز **الرتبة:** استاذ محاضر

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2020-2021 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة.

موافقة وإمضاء المشرف(ة): **رئيس فريق الاختصاص**

رئيس القسم

د/ بوقزولة عبد المالك

Web site : http://virtuelcampus.univ-msila.dz/facshs/ :الموقع الالكتروني
Face book : https://www.facebook.com/FshsUinvMsila/ :الفايسبوك
Tél / Fax : + 213 35 35 3044 :هاتف/ فاكس

الملاحق:



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: /2022

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضى ادناه :

السيد(ة): محامدية صباح

الصفة(طالب، استاذ باحث، باحث دائم): طالب

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 20690765

الصادرة بتاريخ : 2021/08/26 عن دائرة : سيدي خالد

المسجل بكلية: علوم إنسانية واجتماعية قسم: تاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي تحت رقم التسجيل:

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، اطروحة دكتوراه) .

عنوانها: تاريخ الغرب الاسلامي في مرايا الاستشراق الفرنسي .. غوستاف لوبون أنموذجا

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: ....

امضاء المعني (ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، نسخة الكترونية.

أولا: المصادر:

1. ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج3، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت. ط01، 1997م.

2. أرسلان شكيب، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا والجزائر والبحر الابيض المتوسط، دارالكتب العلمية، بيروت، 1966م.

3. الألباني محمد ناصر الدين، سلسلة الاحاديث الصحيحة وشيئ من فقهها وفوائدها (السلسلة الصحيحة)، مكتبة المعارف، صحيح الالباني، حديث: 3076.

4. الثعالبي عبد العزيز، تاريخ شمال افريقيا من الفتح الاسلامي إلى نهاية الدولة الاغلبية، دار الغرب الاسلامي، ط2، بيروت، 1990م.

5. حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى دار الفكر، القاهرة.

6. خلاف حسان، مكة المكرمة من خلال رحلتي ابن جبير وابن بطوطة، دار العربية، للطباعة، والنشر بيروت ط1، 1996م.

7. ابن خلدون عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشان الاكبر، ج6، دار الفكر للطبع والنشر والتوزيع، 1406م.

8. ابن خلدون، كتاب العبر ديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، ضبط الحواشي والفهارس، خليل شحاته، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، لبنان، 2000م.

9. دنيا عبد العزيز حافظ، موسى بن نصير حياته وعصره، دار القومية للنشر والتوزيع، د م ن، د س ن.

10. السويدي محمد، بدو الطوارق بين الثبات والتغير، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989م.

11. السيد أبو مصطفى كمال، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الاسلامي من خلال نوزل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، الاسكندرية، مركز للكتاب 1996م.

12. الشافعي فريد محمود، العمارة العربية الاسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ط2، جامعة الملك سعود، 1982م.

13. شلتوت محمود، الاسلام عقيدة وشريعة، ط18، دار الشروق، القاهرة، 1987م.

14. الصوري وليد، الحروب الصليبية (1094-1184)، ج1، ترجمة: حسنحبشي، مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م.

15. عاشور سعيد عبد الفتاح. تارخ اوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1976م.

16. عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1968م.

17. العذاري احمد بن محمد، البيان المغرب في اخبار الاندلس، ج1.

18. غوستاف لوبون، السنن النفسية لتطور الأمم، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ط01، س2014م.

19. غوستاف لوبون، السنن النفسية لتطور الامم، ترجمة عادل زعيتر،ط1، دار المعارف، مصر، 1950م.

20. غوستاف لوبون، تاريخ حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ط03، دار التراث العربي، بيروت، 1979م.

21. غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: أحمد فتحي، مطبعة الشعب، القاهرة، (1909م).

22. غوستاف لوبون، حياة الحقائق، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2014م.

23. غوستاف لوبون، روح الاجتماع، ترجمة احمد فتحي، مطبعة الشعب، مصر 1909م.

24. قرضاوي يوسف، حقيقة التوحد، ط02، مكتبة الوهبة، 1985م.

25. قطب محمد علي، محمد عبد الرحمان الغافقي شهيد بلاط الشهداء، ط1، المكتبالاسلامي، بيروت، (دمشق)، 1981م.

26. كرد علي محمد، الاسلام والحضارة العربية، ج2، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1354هـ -1932م.

27. مسلم بن حجاج الحسين، صحيح مسلم، ط01، دار الخلافة المالية، لقاهرة، 1330هـ، الحديث 1387.

28. مكي محمد علي، روايات تاريخ الاسلام فتح الاندلس، دار الهلال، 1892م.

29. ملكاوي محمد، عقيدة التوحيد في القران الكريم، ط01، مكتبة دار الزمان، المملكة العربية السعودية، (مدينة المنورة)، 1985م.

30. مؤلف اندلسي مجهول، الحلل الموشية، في ذكر الاخبار المراكشية، ط1، تحقيق: سهيل ذكار، دار الرشاد الحديثة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء (المغرب)، 1399هـ/1979م.

31. بن يحي احمد، بن جابر البغدادي الشهير بالبلاذري، كتاب فتوح البلدان، ط01، شركة طبع الكتب العربية، القاهرة، 1901م.

ثانيا: المراجع:

32. الساموك سعدون، الاستشراق ومناهجه في الدراسة الاسلامية، ط1، دار مناهج للنشر والتوزيع، 2010م.

33. السعدي اسحاق بن عبد الله، دراسات في تميز الامة الاسلامية وموقف المستشرقين، ج1، ط01، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، قطر 2013م.

34. السيد عبد العزبز عبد المطلب، اثر الحضارة الاسلامية على الشرق والغرب، غوستاف غوستاف لوبون نموذجا، ط01، دار العلم والايمان للنشر والتوزيع 2014م.

35. شاكر ممدوح حسن مصطفى، الحروب الصليبية في شمال افريقية واثرها الحضاري، ط1، دار العمال للنشر والتوزيع، عمان(الاردن)، 1419 هـ/1998م.

36. الشهر فايز بن علي، غوستاف لوبون، ط01، المركز الثقافي، للنشر والتوزيع، المغرب، سنة 2019م.

37. شوقي ابو خليل، في ميزان غوستاف لوبون، ط01، دار الفكر، دمشق، سنة 1990م.

38. الصلابي علي محمد الصلابي، دولة السلاجقة وبروز المشروع الاسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، ط01، مؤسسة اقرا لنشر والتوزيع والترجمة، 2002م.

39. الصلابي علي محمد، الفتح الاسلامي، في الشمال الافريقي، مؤسسة اقرا للنشر والتوزيع، 2007م.

40. طقوش محمد سهيل، تاريخ الحروب الصليبية، دار النفائس، بيروت. لبنان، 2000م.

41. العشماوي محمد السعيد، الخلافة الاسلامية، ج2، سينا للنشر والتوزيع، القاهرة، 1992م.

42. العقاد عباس محمود، اثر العرب في الحضارة الاوروبية، ط2، نهضة مصر لنشر والتوزيع، الاسكندرية، 2005م.

43. علوان عبدالله ناصح، محاضرة في الشريعة الاسلامية وفقهها ومصادرها، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، 2007م.

44. غزمي طه سيد حمص، خليل براهيم، محمود حمدان قرعوش، كايد يوسف محمود، كتاب الثقافة الاسلامية، الناشر: جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، 2014م.

45. محمد عبد الرحمن، التنصر والاستغلال السياسي، ط01، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2009م.

46. هيسه هرمان، الرحلة إلى الشرق، ترجمة: ممدوح عدوان، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، دمشق، د.س.ن.

47. يحياوي جمال، سقوط غرناطة وماساة الاندلسيين، 1492–1610م، دار رهومة للطابعة والنشر والتوزيع الجزائر، 2004م.

ثالثا: المجلات:

48. حقوق الانسان في الشريعة الاسلامية وفي ضوء مصدرها القران والسنة، مجلة كلية التربية، جامعة الازهر، العدد(164 الجزء الاول)، يوليو 2015م.

49. زرارة زهيرة ميلود عامر حاج، ازمة الطوارق في منطقة الساحل الافريقي، محلة افاق العلوم، العدد العاشر جانفي 2018م.

رابعا: المقالات:

50. بافقيه حسين محمد، 2004، من يحي تراث عادل زعيتر من النهب؟ الشرق الاوسط، العدد 9362، تاريخ الولوج 15 افريل 2022م.

51. قريشان عبد القادر، الانتاج المعرفي لعلماء مدينة الجزائر(جزائر بني مزغنة)، مقال: في مجال العلوم النقلية خلال العصر الاسلامي الوسيط، دراسة تحليلية.

52. المغربي الصديق بودوارة، الاصول الاولى لسكان المغرب القديم...بين روايات ابن خلدون وحقائق ما قبل التاريخ، جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الاسلامية.

خامسا: الرسائل الجامعية:

53. بوزقاو مريم، الاستشراق بين الرفض والقبول في الثقافة العربية، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الادب العربي نظام ل م د، تخصص: الادب الاندلسي في ضوء الدراسات الشرقية، السنة الجامعية 2019-2020، جامعة جيلالي يابس، سيدي بلعباس.

54. سحنون توفيق، دراسة اثرية للمجتمعات الفخرية والخزفية الاسلامية بمتاحف قلعة بني حماد، سطيف، تلمسان، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الاثار الاسلامية، معهد الاثار، جامعة الجزائر، 2007-2008م.

سادسا: الموسوعات:

55. الموسوعة العربية المسيرة، محمد شفيق غربال، ط01، القاهرة، مؤسسة دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر 1996.

56. موسوعة العريق، نبيل خالد الاغا، عادل زعيتر رائد المترجمين العرب خلال القرن العشرين بآسيا، الاكاديمية الفلسطينية للعلاقات الدولية، تاريخ الولوج: 20 مارس 2022.

سابعا: المواقع الالكترونية:

57. www.culture.gour.fr/bublic/mistral/leonore-fr?Action=chercherfield-1=cotevalue

باسم:Chars lmarie gistave le ben، الناشر: وزارة الثقافة الفرنسية تاريخ الاطلاع 9 جانفي 2022.

58. غوستاف لوبون على موقع (Encyclopaedia Britannica online الانجليزية).

59. https://www.abggad.com/outhor/2132901888/

60. http://citation-celebreleparissen.Fr/auteur/gustare-lebon.

61. http://www.notreislan.com/Fr/rubriques/86-vie-duprapbete/339-unbeau- t% c3% A9moignagedegustae-le-bon-%c3%A0-L-islam-etcontre-L-EURAPE
62. Alfred stein, Adolfhitler sund gustaive lebon Der Meistre der Massenbeuvegung and sein lerer geschicgte in urssenschaft and unterricht, 6, 1955.
63. Le bon gnestae, un mythe de xxe siecle par olure bosc Mil feuf cent revue, intectuelle, 2010/01 (n8)
64. Marpeau Benait, les strtegiu de gustuve le Bon, Jn Milneufcent n9, 1991, les pensees reactionnaires.
65. Olurer Bosc un pionnier de lalterscience, gustave bon (1841-193) conmunication a le seance du 16 decembre 2008.

ثامنا: المؤتمرات والندوات:

66. رياض سالم عواد الجبوري، الحركة الاستشراقية ومنهج التحليل (كتاب غوسناف لوبون نموذجا)، دراسة في موقف الاستتشراق المضلل من السنة النبوية، د م ن، د س ن.

الفهرس

الفهرس:

ملخص:

غوستاف لوبون طبيب ومؤرخ فرنسي ومن أعظم المفكرين في قرنه، ألف العديد من الكتب والأطروحات، واشتهرت كتبه، وقدو اخترت كتاب "حضارة العرب" الذي انتشر وكان له تأثير كبير خاصة على العلماء والمؤرخين المسلمين، وباعتبار "لوبون" مستشرق، ففي كتابه هذا انصف في الحضارة العربية الاسلامية، وانتصر كثيرا للعرب والمسلمين بقوله: "وذلك أنه كان للمدينة الإسلامية تأثير عظيمة في العالم، وتم لها هذا التأثير بفضل العرب... وبنفوذهم الأدبي هذبوا الشعوب البربرية التي قضت على الامبراطورية الرومانية، وبتأثيرهم العقلي فتحوا لأوروبا عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية، وهذا ما كانت تجهله، وعلى ذلك كان العرب ممدنينا وأساتذتنا مدة ستمائة سنة". فكتابه أهم كتاب اوروبي ينصف حضارة العرب والمسلمين، ورغم هذاة الإنصاف إلا أنه وقع في العديد من الأخطاء والهفوات، بغض النظر عن نيته إذ كان متعمدا أم لا، وبالتالي قد فصلت وحللت وعلقت بالصواب على هذه الأخطاء، فقد كانت معظم أخطائه عن القرآن الكريم والوحي وعن حياة نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم، كما شملت أيضا أخطائه التي استخرت البعض منها التي تناولها في تاريخ الغربة الإسلامي وتاريخ شمال افريقيا (المغرب الاسلامي والاندلس) أثناء الفتوحات الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: تاريخ الغرب الإسلامي، الاستشراق الفرنسي، غوستاف لوبون

Abscract:

Gustave Le Bon, a French physician and historian, and one of the greatest thinkers of his century. He authored many books and treatises, and his books became famous. I chose the book “The Civilization of the Arabs,” which was spread and had a great impact, especially on Muslim scholars and historians. The Arab Islamic civilization, and he won a lot for the Arabs and Muslims by saying: “This is because the Islamic city had a great influence in the world, and this influence was achieved thanks to the Arabs... With their literary influence they cultivated the barbarian peoples that destroyed the Roman Empire, and with their mental influence they opened to Europe the world of scientific, literary and philosophical knowledge. And this is what she was ignorant of, and accordingly the Arabs were our civilians and teachers for six hundred years.” His book is the most important European book that does justice to the civilization of Arabs and Muslims, and despite this fairness, it has fallen into many errors and lapses, regardless of its intention, whether it was intentional or not. The life of the Prophet of God Muhammad, may God bless him and grant him peace.

Key words: History of the Islamic West, French Orientalism, Gustave Le Bon